جامعة الأزهر
كلية الدراسات الإسلامية
والعربية - بنين -
بالشرقية

الدلالة اللغوية

بين

رقي القرآن

وشبهات المستشرقين

وجهلهم بإعجاز اللفظ القرآني

(ألفاظ العلاقات الجنسية المحرمة نموذجًا)

=======

إعداد

دكتور/ محمد عبد السميع أحمد سيد أحمد

المدرس في قسم أصول اللغة جامعة الأزهر

(كلية الدراسات الإسلامية والعربية – بنين – بالشرقية)

المقدمة

الحمد لله رب العالمين أنزل على عبده الكتاب ، وجعله هُدىً وذكرى لأولي العقول والألـــباب ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ (١) ، والصلاة والسلام على أفصح من نطق بلغة الضاد سيدنا محمد ﷺ خير العباد ، وعلى آله وصحبه ، ومن سلك طريق الهدى والرشاد.

وبعد

فاللغة بالنسبة لكل أمَّةٍ هي أداةُ تواصُلٍ ، وطريقةُ تفكيرٍ ورمزُ عزةٍ ، أما العربية بالنسبة للعرب كلٌّ هذا ، وتزيد عليه أنها لغةُ دينٍ وكتاب مُوحى به ، وهي لغةُ عباداتٍ وشعائر ، فهي لغةٌ مقدَّسةٌ مأجورٌ من يتعلمها ، مُثابٌ من يعلمها، ثم هي لغةٌ محفوظة بحفظ الله للكتاب الذي نزل بها.

بيد أنّ هناك أصواتًا زاعقةً وأُنوفًا زاكمةً وأقوالاً لاحنةً تستغل جهل بعض المسلمين بمعاني الألفاظ المستخدمة في القرآن واستخداماتها في اللغة العربية ، بل وابتعادهم عن اللغة العربية بشكل كبير ، وابتعادهم – أيضًا – عن فهم الدلالية القرآنية وما لها من أسرار لا يدركها إلا من هداه الله للإسلام وشعَّ في قلبه نور الإيمان ، فراحوا يبثون شبهًا زائفةً حول ألفاظ القرآن ومعانيه .

فإلى كل غيورٍ على لغته ودينه ، وإلى كل من له دور في تعليم اللغة العربية ، عليه أن يقف أمام تلك الدعوات الإلحـــادية والتنصيرية ، التي يبثها أعداء الإسلام

---

(١) الآية ٤٢/فصلت.

عبر مواقع التواصل الاجتماعي من أمثال زكريا بطرس [١]، وعبدالله الفادي [٢]، وغيرهم ، إلى أن جاء يوسف القعيد[٣] – عضو مجلس النواب – وتطاول على النص القرآني قائلاً : " لو طبقنا قانون خدش الحياء سنحاكم بعض آيات القرآن ، مثل ما جاء في سورة يوسف .."[٤] .

ولعلَّ هذا هو السبب الأول في كتابة هذا البحث ، إذ وجدت كثيراً من المثقفين – فضلاً عن ناقصي الثقافة – ينجرف وراء هذه الدعوات الإلحادية والتنصيرية ، وقد كان ذلك سبباً في محاولة إلحاد صديقٍ لي (يعمل طبيباً) ، فمن أول يومٍ دخل وتفاعل مع تلك المواقع الإلحادية قام يشكك في القرآن وفي لغته

---

(١) هو قمص قبطي أرثوذكسي ولد سنة ١٩٨٤م، ورسم في شبين الكوم ، ثم نقل إلى طنطا ، ثم أرجع إلى كنيسة مار مرقص في القاهرة ثم عمل كاهناً في أستراليا سنة ١٩٩٢ م ، ثم عاد إلى مصر ، ثم عمل في برايتون بإنجلترا. درس في كلية الآداب وحصل منها على ليسانس التاريخ . أثر في تكوين شخصيته واتجاهه ، ورث عن أخيه إنجيله الذي أصبح إنجيل بطرس فيما بعد . أعطته مجلة وورلد جائزة دانيال العام عن برنامجه حوار الحق عام ٢٠٠٨م ، ووصفته صحيفة الإنسان الجديد بعدو الإسلام رقم واحد. وله حلقات تلفزيونية كثيرة يهاجم فيها الإسلام طاعناً في القرآن الكريم وفي لغته الشريفة.

(٢) رجل دين نصراني نسب إليه كتاب ((هل القرآنُ معصوم؟)) ،وصَدَرَ هذا الكتاب عن مؤسسة تنصيرية في النمسا، اسْمُها " ضوءُ الحياة "، وظهرتْ طبعَتُه الأُولى عام (١٩٩٤م) ، وتوزِّعُه هيئاتٌ ومراكزُ التبشيرِ النصرانية، ودَعَتْ مؤسسةُ " ضوءِ الحياة " إلى مراسلتِها، لإرسالِ الكتابِ لمن يَطلبونَه، كما أَنها أَنْزَلَتْه على " الإنترنت ".

(٣) كاتب وأديب وقصاص مصري معاصر ولد بمحافظة البحيرة ، اهتم بالتعبير عن المحيط القروي المصري وما يتصل به من من قضايا ، وعرف بنبرته السياسية الناقدة ، وقد حصل على جائزة الدولة التقديرية في الآداب عام ٢٠٠٨م.

(٤) وذلك في حواره ببرنامج ((من الآخر)) المذاع على قناة روتانا مصرية يوم الخميس ١من ديسمبر٢٠١٦م.

الشريفة ، وأخذ معى فترةً طويلةً لإقناعه ، وذبِّ تلك الشُّبه عن فكره ، إلى أن هداه الله مرة أخرى لنور معرفته ، فأيقن أنّ القرآن كتاب الله حقًا أنزله على رسوله صدقًا.

ومن ثمّ أدركت أنّ البعد عن لغة القرآن وفهم دلالتها ، يجعل الإنسان المسلم فريسة يتلقفها أعداء الإسلام بدعواهم الكاذبة وشبهاهم الزائفة .

إنّ همّ المستشرقين(١) اليوم تشكيكهم في لغة القرآن ، لأنهم علموا علم اليقين أنّها محفوظة بحفظ الله لكتابه ، فراحوا يتهمونها بأنها لغة تخدش ثوب الحياء ، مبتذلة لا تحاكي العصر وهي أقرب للمحلية ، لذا جاء هذا البحث ليرد على بعض

(١) الاستشراق : اتجاه فكريّ ، يعني بدراسة حضارة الأمم الشرقية بصفة عامة وحضارة اللإسلام والعرب بصفة خاصة ، وقد كان مقتصراً في بداية ظهوره على دراسة الإسلام واللغة العربية ، ثم اتسع ليشمل دراسة الشرق كله ، بلغاته وتقاليده وآدابه ، فالمستشرقون هم علماء الغرب الذين اعتنوا بدراسة الإسلام واللغة العربية ، ولغات الشرق وأديانه وآدابه، ،وقد غلب على المستشرقين النزعة الصليبية التنصرية التي خيِّمت على أذهان المستشرقين ، وغطت على أفكارهم ، فجاءت دراستهم في ثوب تنصيري ، فقد ارتبط الاستشراق في جميع مراحله ارتباطًا وثيقًا بالمؤسسات الكنسية التنصرية ، ومن أهم أهداف الاستشراق: ١ – إفساد صورة الإسلام ، بطمس محاسنة ، وتحريف حقائقه ، وتقديمه للعالم على أنه دين متناقض. ٢– تشكيك المسلمين في دينهم ، بإثارة الشبهات حول الإسلام ورسول الإسلام ﷺ لإضعاف صلتهم بهذا الدين وارتباطهم به. ٣– إحياء النعرات القبلية ، والعصبيات المذهبية، والنزعات الطائفية والعقائدية ، وإثارة الخلافات ، لتفريق وإضعاف روح الإخاء بين المسلمين، وإثارة اللهجات العامية وذلك بالتشكيك في اللغة العربية ومصادرها. ٤– غرس المبادئ الغربية في نفوس المسلمين وتمجيدها ، والعمل على إضعاف القيم الإسلامية وتحقيرها حتى يتم لهم إفساد أبناء المسلمين وتحللهم ثم توجيههم لخدمة مصالحهم .٥– إزالة الثقة بعلماء وأعلام الأمة الإسلامية ، وذلك لقطع الصلة بين المسلمين وماضيهم ، وفي المقابل تمجيد الشخصيات الغربية وتعظيمها ليسهل التأثر والانقياد. مقدمة حول الاستشراق والمسشرقين ، موقف المدرسة العقلية من السنة النبوية بتصرف.

هذه الشبهات بإبراز ما في لغة القرآن من إعجاز وأسرار في اختيار المفردة القرآنية المناسبة في مجال العلاقات الجنسية المحرمة ، فالقرآن في سياق الحديث عن تلك العلاقات ينتخب اللفظ انتخابًا دقيقًا ، رقيقًا ، رشيقًا ، رفيقًا .

فكما نعلم أنّ مجال العلاقات الجنسية وما شابهها : مجال يحتاج إلى الكناية في جميع لغات البشر.. ولغات البشر خصت هذا المجال بأكبر قدر من كناياتها ، لأن البشر مجبلون على عدم التصريح في هذا المجال إلا للضرورة .. فالقران يكني بدلاً من يصرح ؛ احترازًا من التأذي بذكر الاسم الصريح كما في الألفاظ المستهجنة اجتماعيًا.

لذا نطلب من هؤلاء الذين يدَّعون أنّ في القرآن ألفاظًا خادشة للحياء ، وأنه يأمر بالعلاقات الجنسية غير المشروعة ، أن يذكروا لنا آية واحدة في القرآن الكريم يخجل الرجل الحيي من أن يقرأها أمام زوجته أو بناته أو أطفاله. فإن وجدها .. جاز له أن يطالبنا بالتفسير والتبرير .. وإن لم يفعلوا ولن يفعلوا ، جاز لنا أن نطالبهم بأن يقرأوا ما في كتابهم.. أمام بناتهم ليقارنوا بينه وبين ما يدعونه على القرآن.

كما أنّ فكرة البحث في هذا الموضوع يدعمها واقع المسلمين اليوم ، وكأنهم بحاجة ماسة فعلاً إلى من يرشدهم إلى ما في كتاب ربهم من أسرار ، فالقرآن كنـــز يستفتحه كل عصر بأدواته ليأخذ منه ما تسنى له من جواهره ودرره ، وهو كريم

كلما استثير أعطى ، كما يقول سيدنا عبد الله بن مسعود رضى الله عنه : ((من أَرَادَ عِلْمًا فَلْيُثَوِّرِ الْقُرْآنَ فإنه خَيْرُ الأَوَّلِينَ وَخَيْرُ الآخَرِينَ))[1].

ومن باب جَهد المقلِّ حاولت أن أدلى بدلوى المتواضع فى هذا المضمار فأمضيت عدة ليالي بتتبع مواقع التنصير والإلحاد على الشبكة العنكبوتية – الانترنت – لأقف على تلك الشبهات التي يبثها المستشرقون حول لغة القرآن الكريم ، فتناولت شبه هؤلاء حول الألفاظ الدالة على العلاقات الجنسية المحرمة ، بالدراسة التأصيلية لبيان سرِّ إعجازها .

هذا وقد اعتمد البحث في هذه الدراسة الدلالية على المنهج الوصفى الذي يقوم على تقديم صورة جليلة أمام القارئ لجانب الإعجاز اللغوى فى صوره المتعددة وأسراره العلمية الباهرة ، وكنت حريصًا على نقل القارئ إلى استنباط الأسرار الدلالية للمفردة القرآنية ، ومن هنا كان للمنهج الاستنتاجي مكان كبير بين ثنايا البحث .

كما اهتم البحث بناحية الاشتقاق اللغوي للألفاظ فذكرت أصولها الاشتقاقية ، والفروق الدلالية بينها ، والتناسب الدلالي في اختيار مفردة بعينها – دون غيرها – في سياقها . واعتمدت في هذا المنهج على أصول المصادر للأئمة اللغويين ، كما تضمنت هذه المصادر الرئيسية الأصول الأولى لكتب علوم القرآن الكريم وتفسيره، فرجعت إلى ما ذكره حذّاق المفسرين كالطبري والزمخشري والقرطبي وغيرهم ممن

---

(١) أخرجه الإمام الطبراني في المعجم الكبير ٩/ ١٣٥ ، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد ، الناشر مكتبة الزهراء ، سنة النشر ١٤٠٤ – ١٩٨٣، مكان النشر الموصل.

أسدوا خدمـــات جليلة للقرآن الكريم وأرسوا دعائمه على أسس من الجلاء والوعي والوضوح.

وقد اقتضت منهجية البحث أن تكون هذه الدراسة مقسمة إلى مقدمة وتمهيد وثمانية مباحث بيانها كالآتي :

- **المقدمة** : وتحدثت فيها عن سبب اختيار الموضوع وأهميته.
- **التمهيد**: وتحدثت فيه عن جهل المستشرقين بدور السياق في تحديد المعنى المراد من اللفظ.

المبحث الأول : في دلالة لفظة : ((فاحشة)) .

المبحث الثانى : في دلالة لفظتي : ((أخدان)) ، و ((مسافحات)).

المبحث الثالث: في دلالة تركيب : ((ظاهر الإثم)) ، و ((باطن الإثم)).

المبحث الرابع : في دلالة لفظة : ((الهمِّ)).

المبحث الخامس : في دلالة لفظة : ((السوء)) .

المبحث السادس : في دلالة لفظة : ((زنا)).

المبحث السابع : في دلالة لفظة : ((البغاء)).

المبحث الثامن : في دلالة لفظة : ((البهتان)).

هذا وقد اتبعت منهجًا فى دراسة المفردات التى جاءت فى كل مبحث وهو كالآتى :

أولاً : اقتضى موضوع البحث اتباع المنهج الاستقرائي والاستنباطي ، حيث قمت بتتبع ما قاله المشككون في القرآن عبر وسائل التواصل الاجتماعي ، ثمّ قمت بإبطال هذه الشبه مستعينًا بالله أولاً ، ثم بما قاله اللغويون والمفسرون في دلالة اللفظ القرآنى ، ثمّ قمت باستنباط سرّ التعبير باللفظة المرادة دون غيرها من أخواتها.

ثانيًا : التزمت بعزو الآيات لسورها ، والأحاديث التي وردت في ثنايا البحث بذكر كتب الحديث التي وردت فيها .

ثالثًا : قمت بترتيب المباحث حسب ورود ألفاظها في آيات القرآن الكريم ، ثم رتبت الآيات حسب ورودها في السور وترتيب السور على ترتيبها في المصحف تيمنًا وتبركًا بكتاب الله ﷻ .

خامسًا : قمت بمراجعة المواطن القرآنية التى وردت فيها المفردة التي يراد دراستها واستعمالاتها ومعانيها ودلالتها .

وقد اعتمد البحث على مصادر ومراجع كثيرة ومنوعة فى اللغة والتفسير والنحو والصرف بالإضافة إلى أهم الكتب اللغوية والدلالية الحديثة. هذا فضلاً عن الكتب والأبحاث العلمية المختلفة .

وكم كان هاجسى وقد اخترت هذه الدراسة وخطوت فيها تلك الخطى الحثيثة ، أن أوفّق لتقديم دراسة غاية المنى فيها أن أقدّم بها شيئًا يقربنى إلى الله زُلفى وأنا أخدم كتابه الجليل ، وأنال بها رضاه جلّ علاه ، وأن تكون جديرة بمكانة الإعجاز القرآني ، وإنّ هذا مبلغ علمي ، ﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾[1]، واستغفر الله أولاً وآخرًا ، وآخر دعواى أن الحمد لله رب العالمين .

المؤلف

(١) من الآية ٧٦/يوسف.

التمهيد

اعترض أعداء الإسلام على عدة كلمات وردت في القرآن الكريم ، في سياق الحديث عن العلاقات الجنسية المحرمة كلفظة (الفحشاء – الزنا – البغاء – البهتان..) الخ . وقالوا : أنّى لكتابكم أن يأتي بمثل هذه الكلمات ؟ أليس القرآن كتابًا مقدسًا؟.

والحق أنّ هؤلاء جهلوا بل تجاهلوا أنّ السياق يعد عاملاً حاسمًا فى تحديد دلالة اللفظ من حيث الحسن والقبح .

ويعنى بالسياق، النظم اللفظي للكلمة وموقعها من ذلك النظم ، الذى يشمل الكلمات والجمل الحقيقية السابقة واللاحقة للكلمة ، والنص الذى ترد فيه ، فكل كلمة أيًّا كانت توقظ فى الذهن صورة ما ، حسنة أو قبيحة ، بهيجة أوحزينة ، راضية أوكريهة ، فهو يميز بين المعنى الموضوعى والمعنى العاطفى للكلمة . فضلاً عن الدور الأساسى الذى يؤديه السياق فى اختيار بعض البدائل (الصيغ) التى تعطي ملامح دلالية في السياق الواردة فيها.

ومن المعروف أنّ اللغة ظاهرة اجتماعية يعبر بها الناس عن أفكارهم وحاجاتهم ولذلك فهي متأثرة بالمحيط الخارجى لها ، وهى ليست شيئًا مجردًا عن الواقع الذى توجد فيه بل إنَّ وظيفتها هى التفاعل مع هذا الواقع حسنه وقبحه.

إذن فالكلمة لا قيمة لها فى حالة إفرادها ، وإنّما يكون حُسنُها ورداءتُها فى نظمها ، لأنّ " الألفاظ لا تتفاضَل من حيثُ هى ألفاظ مجرّدة ، ولا من حيث هي كلمٌ مفردة ، وإنّ الفضيلة وخلافها فى ملاءمة معنى اللفظة لمعنى التى تليها أو ما أشبه ذلك ممّا لا تعلّق له بصريح اللفظ ، وممّا يشهد لذلك أنّك ترى الكلمة تروقك فى مَوضع ، ثمّ تراها بعينها تثقُـــل عليك وتوحِشُك فى مَوضع آخر.." (١).

ومن ثم يتناول البحث الألفاظ الدالة على العلاقة الجنسية الغير مشروعة وتناسبها الدلالي ، والكشف عن سرِّ دلالة كل لفظةٍ في سياقها الواردة فيه ، وردّ شبه المشككين حولها ، والوقوف على أهم الفروق الدلالية بين تلك الألفاظ .

(١) دلائل الإعجاز : صـــ ٥٤ .

المبحث الأول : في دلالة لفظة : (الفاحشة) :

==========

كلمة ((الفاحشة)) من الكلمات تدل على العلاقات الجنسية المحرمة (الزنا) . والله سبحانه وتعالى يعبر عن هذه المعاني التي لا تألفها النفس الكريمة بعبارات تسترها ، فتكون الكناية بدل التصريح ، وذلك من تأديب الله لنا في التعبير كما في قوله تعالى : ﴿ وَٱلَّٰتِي يَأۡتِينَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمۡ ﴾ (١) ، فالفاحشة – هنا – المراد بها ((الزنا)) بقرينة الكلام التالي : ﴿ فَٱسۡتَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِنَّ أَرۡبَعَةٗ مِّنكُمۡۖ ﴾ (٢).

كما وردت الكلمة نفسها لتدل على- عملية الشذوذ الجنسي- فعل قوم سيدنا لوط عليه السلام كما في قوله تعالى : ﴿ أَتَأۡتُونَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾(٣)، وقوله سبحانه: ﴿ أَتَأۡتُونَ ٱلۡفَٰحِشَةَ وَأَنتُمۡ تُبۡصِرُونَ ﴾(٤)، بدليل الكلام السابق في الآيتين أنفسهما : ﴿ وَلُوطًا إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦٓ ﴾ .

---

(١) من الآية ١٥/النساء.

(٢) من الآية نفسها.

(٣) من الآية ٨٠/الأعراف.

(٤) من الآية ٥٤/النمل

هذا وقد اعترض المشككون على هذه الكلمة وقالوا : إنّ هذا تناقض في معاني الألفاظ ، فأنى لكلمة واحدة أن تعبر عن معنيين ؟!.

والحق أنّ هؤلاء أبعد كل البعد عن معرفة دلالات ألفاظ القرآن ، وللرد على هذه الشبه كان لا بد من التأصيل الدلالي لهذه الكلمة.

فالفاحشة: بكسر الحاء مؤنث الفاحش جمعه فواحش ، قال ابن فارس : "الْفَاءُ وَالْحَاءُ وَالشِّينُ كَلِمَةٌ تَدُلُّ عَلَى قُبْحٍ فِي شَيْءٍ وَشَنَاعَةٍ. مِنْ ذَلِكَ الْفُحْشُ وَالْفَحْشَاءُ وَالْفَاحِشَةُ. يَقُولُونَ: كُلُّ شَيْءٍ جَاوَزَ قَدْرَهُ فَهُوَ فَاحِشٌ ؛ وَلَا يَكُونُ ذَلِكَ إِلَّا فِيمَا يُتَكَرَّهُ. وَأَفْحَشَ الرَّجُلُ: قَالَ الْفُحْشَ: وَفَحَشَ، وَهُوَ فَحَّاشٌ "(١)، ويقال : أفحش فلان في كلامه ..وتفاحش الأمر : تزايد في القبح (٢).

وبالنظر إلى ما سبق ، فإنّ دلالة المعنى اللغوي الأصلي للفظ الفاحشة : تدل على قبح الشيء وشناعته ، وكلّ شيء جاوز قدره في القبح ، ثم خصصت دلالتة في سياق هاتين الآيتين ، لتدل على الزنا ، أو ما كان يفعله قوم سيدنا لوط عليه السلام . وبناءً على ذلك فإنّ كلمة ((الفاحشة)) تركز على ملح القبح الشديد في عملية الزنا واللواط ومجاوزة الحد فيهما.

وبتتبع مادة (ف ح ش) في القرآن الكريم ، تبين أنها وردت بثلاث صيغ (فاحشة – فحشاء – فواحش) .

والعجيب أنّ بعض المفسرين ذكروا عن مقاتل أنه قال : "كلُّ ما في القرآن من ذكر الفحشاء ، فإنَّه الزِّنا، إلاَّ قوله: ﴿ ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ وَيَأۡمُرُكُم

(١) مقاييس اللغة (ف ح ش) ٤/ ٤٧٨.

(٢) أساس البلاغة صـــ ٢/ ٩.

﴿ بِٱلْفَحْشَآءِ ﴾[1] فإنه منع الزكاة "[2].وقال الزمخشري: "والفحشاء: ما يجب الحدّ فيه"[3].وقد سوّى الراغب بين الفحش والفحشاء والفاحشة فقال : " الفُحْشُ والفَحْشَاءُ والفَاحِشَةُ: ما عظم قبحه من الأفعال والأقوال"[4].

وبالرجوع إلى معاجم اللغة – أيضًا – تبين أنها لم تفرق بين هذه الصيغ . لكنّ التدبر والتأمل لهذه الصيغ – في السياقات التي وردت فيها في القرآن – يجعل الباحث يقف على الفروق الدلالية بينها ، وبيان سرّ إعجازها.

فكلمة ((فحشاء)) أينما وردت ، فهي الفحشاء النظرية التي يفكر فيها الإنسان من حيث التصور والكـــون ، لم يلابسها أو يقـــع فيها ، فإذا وقـــع فيها تسمى ((فاحشة)) .

فكأن الفترة الزمنية – مقدار نطق المد – في كلمة ((فحشاء)) تعطي للإنسان فرصة للتفكير في عدم فعل الفاحشة والوقوع فيها ، كما في قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾[5].

فالشيطان يوسوس للإنسان ويجعله يتصور الفاحشة ، فتتحرك غرائزة ، فينتج عن ذلك ارتكاب الفاحشة . وقوله سبحانه : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ﴾[6].

---

(١) من الآية ٢٦٨/البقرة.

(٢) ينظر: تفسير القرطبي ٢/ ٢١٠، واللباب في علوم الكتاب٣/ ١٥٦،والبحر المديد في تفسير القرآن المجيد ١/ ١٩٩.

(٣) الكشاف ١/ ٢١٣.

(٤) المفردات في غريب القرآن (ف ح ش) صـــ ٦٢٦.

(٥) الآية ١٦٩/البقرة.

(٦) من الآية ٩٠/النحل.

فالله سبحانه وتعالى ينهى عن التفكير والتدبير في أمر ارتكاب الفاحشة ، فمثلاً فاحشة ((الزنا)) لو تصورها وفكر فيها الإنسان ، ربما يقوده هذا التفكير لارتكاب تلك الفاحشة والعياذ بالله ، لذلك نجد أنّ الحق سبحانه وتعالى ينهى الإنسان عن مجرد الاقتراب من هذه الفاحشة فيقول سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴾ (١). وقوله ﷻ : ﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ﴾ (٢) ، لما كانت الصلاة صلة بين العبد وربه ، فهي بذلك تنهى عن ((الفحشاء)) أي : تنهى عن مجرد التصور والتفكر في الفاحشة. وقوله تبارك اسمه في حق سيدنا يوسف : ﴿ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ﴾ (٣) ، فمن المعلوم أنّ سيدنا يوسف نبي ، والنبي معصوم لم يذهب إلى السوء والفحشاء ، لكن السوء والفحشاء قد جاءا إليه ، لذلك صرف الله عنه ((السوء)) (الزنا المكروه) ، وصرف عنه ((الفحشاء)) ، (أي : مجرد التصور والتفكر في الفاحشة)، فإذا كان الله قد صرف عنه تصور الفاحشة فمن باب أولى أن يصرف عنه الفاحشة نفسها.

أما كلمة ((فاحشة)) فهي خمسةُ أحرفٍ – أيضًا – لكن يتقدم فيها حرف المد ليدل على سرعان وقوع العقوبة كما في قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا۟ بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ﴾ (٤)، فسياق

(١) الآية ٣٢/الإسراء.

(٢) من الآية ٤٥/العنكبوت.

(٣) من الآية ٢٤/يوسف.

(٤) من الآية ١٩/النساء.

الآية يدل على أنّ العضول[1]، لا يكون إلا بعد الإتيان بالفاحشة وهي كما قال بعضهم : "معناها الزنا "[2]. وقوله سبحانه : ﴿ وَٱلَّٰتِي يَأۡتِينَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمۡ فَٱسۡتَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِنَّ أَرۡبَعَةٗ مِّنكُمۡۖ ﴾ [3] ، فمعنى الفاحشة – هنا – الإتيان بجريمة الزنا [4]. وقوله تبارك اسمه : ﴿ وَلُوطًا إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦٓ أَتَأۡتُونَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [5] ، فالاستفهام الإنكاري التوبيخي يدل على تلبسهم بهذه الجريمة. وقوله جلّ وعلا : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ

---

(١) أصل العضل : المنع ، يقال : «عضلت المرأة بولدها» ، ذلك أصل الاشتقاق بالضبط. فالمرأة ساعة تلد فمن فضل الله عليها أن لها عضلات تنقبض وتنبسط، تنبسط فيتسع مكان خروج الولد، وقد تعضل المرأة أثناء الولادة، فبدلا من أن تنبسط العضلات لتفسح للولد أن يخرج تنقبض، فتأتي هنا العمليات التي يقومون بها مثل القيصرية. ومعنى ذلك أنه إذا زنت امرأة الرجل حلَّ له عَضْلها ، ليفتدي منها بما آتاها من صداق،ومثال عندما يكون الرجل كارها لامرأته فيقول لها: والله لن أطلقك، أنا سأجعلك موقوفة ومعلقة لا أكون أنا لك زوجا ولا أمكنك أيضا من أن تتزوجي وذلك حتى تفتدي نفسها فتُبرئ الرجل من النفقة ومؤخر الصداق؛ فيحمي الإسلام المرأة ويحرم مثل تلك الأفعال.ولكن متى تعضلوهن؟ هنا يقول الحق: (أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖ) ،لأنهم سيحبسونهن، وهذا قبل التشريع بالحد.ينظر: تفسير الشعراوي ٤/ ٢٠٧٩- ٢٠٨١.

(٢) تفسير الطبري ٨/ ١١٥.

(٣) من الآية ١٥/النساء.

(٤) فقد كان الحكم في ابتداء الإسلام أن المرأة إذا زنت وثبت زناها بالبينة العادلة وهي أربعة شهود، حبست في بيت، فلا تمكّن من الخروج منه حتى تموت. وكانت عقوبة الرجال الشتم والتعيير باللسان والضرب بالنعال، وظل الحكم كذلك حتى نسخه الله بالجلد للأبكار، والرجم للمحصنين والمحصنات ، ينظر: التفسير المنير للزحيلي ٤/ ٢٨٩.

(٥) الآية ٨٠/الأعراف.

﴿ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ﴾[1] ، ففي شيوع الفاحشة دلالة على حديث هؤلاء المنافقين بالإفك والفرية والافتراء في حق السيدة عائشة رضي الله عنها.

أما كلمة ((الفواحش)) فهي جمع للفاحشة المتصورة والفاحشة الواقعة ، لذلك ترد – أحيانًا – في سياق تحريمها ظاهرةً وباطنةً ،كما في قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ﴾[2]، وقوله سبحانه : ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ﴾[3]. فما ظهر من الفواحش هو من أفعال الجوارح التي ترتكب الموبقات ، وما بطن منها، يكون من أفعال السرائر مثل الحقد ، والغل ، والحسد[4] .

يستنتج مما ما سبق :

أنّ هناك فرقًا بين الفحشاء والفاحشة ، وأنّ تركيب ((فحش)) في أصل معناه يدل على التزايد في القبح ، ثم استعمله القرآن الكريم في مواضع عدة في الدلالة على :

---

(١) من الآية ١٩/النور.

(٢) من الآية ١٥١/الأنعام.

(٣) من الآية ٣٣/الأعراف.

(٤) هذا قولٌ ضمنَ عدة أقوالٍ ذكرها الماوردي في معنى قوله تعالى : (ما ظهر منها وما بطن) ،أماالأقوال الأخرى فأحدها: أن ذلك عام في جميع الفواحش سرها وعلانيتها ، قاله قتادة. والثاني: أنه خاص في الزنى ، ما ظهر منها: ذوات الحوانيت ، وما بطن: ذوات الاستسرار ، قاله ابن عباس ، والحسن ، والسدي. والثالث: ما ظهر منها: نكاح المحرمات ، وما بطن: الزنى ، قاله مجاهد ، وابن جبير. والرابع: أن ما ظهر منها: الخمر ، وما بطن منها: الزنى ، قاله الضحاك ، النكت والعيون٢/ ١٨٦.

١- الْمعْصِيَة.وَمِنْه قَوْله تَعَالَى فِي الْأَعْرَاف:﴿ وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ﴾(١)، وَفِي النَّجْم: ﴿ ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ ﴾ (٢) .

٢- الزِّنَا. وَمِنْه قَوْله تَعَالَى فِي آل عمرَان : ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ ﴾ (٣) ، وفى سُورَة النِّسَاء :﴿ وَٱلَّٰتِى يَأْتِينَ ٱلْفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمْ فَٱسْتَشْهِدُوا۟ عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ ﴾ (٤) ، وَفِي الْأَعْرَاف : ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ﴾ (٥).

٣- فعل قوم لوط عليه السلام. وَمِنْه قَوْله تَعَالَى فِي العنكبوت : ﴿ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ ﴾ (٦) .

٤- نشوز الْمَرْأَة. وَمِنْه قَوْله تَعَالَى فِي سُورَة النِّسَاء: ﴿ وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا۟ بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ﴾(٧)،

---

(١) من الآية ٢٨/الأعراف.

(٢) الآية ٣٢.

(٣) من الآية ١٣٥.

(٤) من الآية ١٥.

(٥) من الآية ٣٣.

(٦) من الآية ٢٨.

(٧) من الآية ١٩.

وَفِي الطَّلَاق : ﴿ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ﴾ (١)(٢) .

إذن فالسياق – وغيره من قرائن فهم المعنى – هو الذي يحدد معنى اللفظ ، وبخاصة المشترك اللفظي ، وقد بين السيوطي أن هذه الظاهرة القرآنية من أعظم إعجاز القرآن الكريم حيث كانت الكلمة الواحدة تنصرف إلى عشرين وجهًا، وأكثر وأقل ، ولا يوجد ذلك في كلام البشر (٣) ولا شك أن هذه الكلمة الواحدة تحمل معناها اللغويّ أولاً، ثم تخرج عنه إلي معانٍ أخرى حسب ما يقتضيه السياق أو تمليه المواقف ثانيًا. وليس كما ادعى هؤلاء المشككون بقولهم : إنّ هذا تناقض في معاني الألفاظ فأنى لكلمة واحدة أن تعبر عن معنيين ؟!.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁ ❁

(١) من الآية ١/الطلاق.

(٢) ينظر: نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر صـــ : ٤٦٦: ٤٦٧.

(٣) ينظر: البرهان في علوم القرآن ١/ ١٠٢، والمشترك اللفظي في الحقل القرآني صـــ: ٢٣٣ ،تأليف : عبد العال سالم مكرم الناشر: موسسة الرسالة – بيروت الطبعة: الثانية، ١٤١٧.

المبحث الثاني : دلالة لفظة (أخدان) :

==========

وردت لفظة ((أخدانٍ)) مرتين في القرآن الكريم للدلالة على العلاقة الجنسية الغير مشروعة ، الأولى في قوله تعالى : ﴿ فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذۡنِ أَهۡلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِ مُحۡصَنَٰتٍ غَيۡرَ مُسَٰفِحَٰتٖ وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخۡدَانٖۚ ﴾(١). والثانية في قوله سبحانه : ﴿ ٱلۡيَوۡمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حِلّٞ لَّكُمۡ وَطَعَامُكُمۡ حِلّٞ لَّهُمۡۖ وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ إِذَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحۡصِنِينَ غَيۡرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِيٓ أَخۡدَانٖۗ ﴾(٢).

وقد فهم أعداءُ الإسلامِ دلالةَ كلمةِ ((أخدانٍ)) فهمًا خاطئًا وطاروا فرحًا يتهمون الإسلام بالانغلاق الفكري والتأخر الاجتماعي في العادات والعلاقات ، ومن صور هذا التأخر الاجتماعي والانغلاق الفكري ، نهيه عن زواج الرجل من المرأة لمجرد علاقة الصداقة بينهما مستدلين بقوله تعالى : ﴿ وَلَا مُتَّخِذَٰتِ

---

(١) من الآية ٢٥/النساء

(٢) من الآية ٥/المائدة.

أَخْدَانٍ ﴾[1] ، قائلين : إن ((الأخدان)) جمع خدن وهو الصديق ، فيكون معنى الآية – على فهمهم السقيم – : ((ولا متخذات أصدقاء)) ، محتجين – بزعمهم الباطل – أنّه لا يجوز حمل كلمة ((أخدان)) على معنى ((الزنا)) لوجود كلمة ((مسافحات)) قبلها والتي تعني ((الزنا))– أيضًا – وإلاّ ، لتكرر المعنى ، بعطف الشيء على نفسه.

والحق أنّ هؤلاء لم يفهموا الدلالة المرادة من اللفظة القرآنية داخل سياقها ، فإذا كان الله قد حرَّم الصداقة[2] – وليس الزمالة – بين الرجل والمرأة ، فليس معنى ذلك أنَّ المقصود من قوله تعالى : ﴿ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ ﴾ النهي عن الصداقة بين الرجل والمرأة – في سياق الآية الكريمة – ، بل المقصود من كلمة ((أخدان)) الممارسة الجنسية التي تحدث في السرِّ مع عشيقٍ واحد فقط ، ولا يتعارض ذلك مع تقدم كلمة ((مسافحات)) والتي تعني : الممارسة الجنسية مع أكثر من شخص ، فلكل تعبير دلالته وإعجازه.

ولكي يظهر المعنى ويتضح جليًا كان لابد من التأصيل الدلالي لكلمتي ((مسفحاتٍ ، وأخدانٍ)) وربط دلالتهما بسياق ورودهما.

أولا: لفظة : (أخدان) :

((الْخِدْنُ)) وَاحِدُ الْأَخْدَانِ وَهُوَ الصاحب أو الصديق فِي السِّرِّ ((وَالْمُخَادَنَةُ)) المصاحبة أوالْمُصَادَقَةُ ، يقول ابن فارس : " الْخَاءُ وَالدَّالُ وَالنُّونُ أَصْلٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ

---

(١) من الآية ٢٥/النساء

(٢) وذلك بأنه لا يجوز للفتاة أن تتخذ رفيقًا لها أو صاحبًا لها يحل لها الزواج منه ، وعلة ذلك أنّ المرأة عاطفية بطبيعتها ولو دخلت في علاقة مع شاب وتوسمت فيه زوجًا صالحًا لها وارتضته لنفسها وقام الشاب بخداعها ، لأثر ذلك في نفسها تأثيرًا سلبيًا وترك في نفسها جرحًا لا يندمل أبدًا.

الْمُصَاحَبَةُ. فَالْخِدْنُ: الصَّاحِبُ. يُقَالُ : خَادَنْتُ الرَّجُلَ مُخَادَنَةً. وَخِدْنُ الْجَارِيَةِ مُحَدِّثُهَا"[1] ، وأكثر ما يستعمل فيما يصاحب لشهوة ..وقيل : الصديق المصافي. وقيل الصديق في السر[2].

ثم انتقل اللفظ انتقالاً دلاليًا من دلالته على الصداقة والمصاحبة وأصبح يدل على صحبة الزانيات للزناة والزنا معهم سرًا.

وبذلك يتميز لفظ ((الخدن)) عن لفظ ((الصاحب أو صديق)) بملامح دلالية هي :

١- المصاحبة بشهوة.

٢- المصاحبة الصافية ، وتتمثل في صفاء المرأة تجاه من يصاحبها وعلة ذلك، أنّ المرأة عاطفية بطبيعتها سرعان ما تبرز عما في نفسها ، وذلك إذا دخلت في علاقة مع شاب وتوسمت فيه زوجًا صالحًا لها وارتضته، لذلك حرم الإسلام كل علاقة بين الجنسين خارج نطاق الزواج . وليس في الإسلام ما يعرف بالحب بين الجنسين خارج نطاق الشرع ، وكم أحدثت تلك الصدقات من مفاسد عظيمة ! فضلاً عن ارتكاب معصية الله تعالى باستمتاع كل منهما بمن لا يحـــل له ، والخلوه به ، فقد روي عن النبي ﷺ أنه قـــال : ((وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، فَلَا يَخْلُوَنَّ بِامْرَأَةٍ لَيْسَ مَعَهَا ذُو مَحْرَمٍ مِنْهَا، فَإِنَّ ثَالِثَهُمَا الشَّيْطَانُ)) [3].

٣- المصاحبة في السرِّ ، ويدل على ذلك دلالة المعنى المحوري للتركيب إذ يدل " على المداخلة والمباطنة . ففي المخادنة من السرية والتخفي ما ليس

---

(١) مقاييس اللغة (خ د ن)٢/ ١٦٣.

(٢) التوقيف على مهمات التعاريف صـــ: ١٥٢.

(٣) جزء من حديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٢٣/ ١٩.

في المصادقة .. فكأنَّ الخِدْن يدْخل في باطن من يخادنه . فهذا يعطي شدة التداخل كما يعطي خفاءَ هذه العلاقة أي سِرّيتها وعدَم الجهر بها "[1].

ثانيًا: لفظة : (مسافحات) :

يقول ابن فارس : " السِّينُ وَالْفَاءُ وَالْحَاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى إِرَاقَةِ شَيْءٍ. يُقَالُ سَفَحَ الدَّمَ، إِذَا صَبَّهُ. وَسَفَحَ الدَّمَ: هَرَاقَهُ. وَالسِّفَاحُ: صَبُّ الْمَاءِ بِلَا عَقْدِ نِكَاحٍ، فَهُوَ كَالشَّيْءِ يُسْفَحُ ضَيَاعًا"[2].

ثم انتقل اللفظ من معناه الأصلي (الدلالة على الإراقة) وأصبح يدل على الفجور والزنا، "فالسِّفَاحُ والمُسَافَحَةُ: أَن تُقيم امرأةٌ مَعَ رَجُل على فجور من غير تَزْويج صَحيح .. ويُقَال لابْنِ البَغِيّ : ابْن المُسافحَة، وروي عَن ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا فِيمَنْ فَجَرَ بِامْرَأَةٍ، ثُمَّ تَزَوَّجَهَا أنه قَالَ : ((أَوَّلُهُ سِفَاحٌ، وَآخِرُهُ نِكَاحٌ لَا بَأْسَ بِهِ))[3] ، وَهِي الْمَرْأَة تُسَافِحُ رَجُلاً، فَيكون بَينهمَا اجْتِمَاع على فجور، ثمَّ يَتَزَوَّجهَا، وكَرِه بعض الصَّحَابَة ذَلِك، وَأَجَازَهُ أَكْثَرهم"[4].

وسُمِّي الزِّنى سِفَاحًا:

- إما لأَنَّهُ كَانَ عَن غير عقد ، فكَأَنَّهُ بِمَنْزِلَة المَاء المَسْفُوح الَّذِي لَا يَحْبِسُه شَيْء .

---

(١) المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن (خ د ن) ٢/٥٣٤.

(٢) مقاييس اللغة (س ف ح) ٣/ ٨١.

(٣) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى ٧/ ٢٥١.

(٤) ينظر: تهذيب اللغة (س ف ح) ٤/ ١٨٩.

- أو لِأَنَّ كلاً من الزاني والزانية يسَفَحُ مَنْيَتَه ، أَي يدفقه بِلَا حُرْمَةٍ إباحة دفقها(١).

ومن ثَمَّ يسمى الزاني مسافحًا، لأنه ليس يتعلق به حكم ثابت مستمر، وهو نسب أو عدة أو مهر.

إذن هناك فرق بين المرأة المسافحة والمرأة المخادنة .

- المرأة المسافحة : هي المبذولة التي تؤاجر نفسها جهرًا مع أي رجل أرادها من غير عقد يربط هذه العلاقة .
- المرأة المخادنة : هي التي اتخذت خادنًا معينًا يَزْنِي بِهَا سِرًّا.

ومما يؤكد الفرق بين الدلالتين أنَّ "الْبَغَايَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ كانت عَلَى قِسْمَيْنِ : مَشْهُورَاتٌ ، وَمُتَّخِذَاتُ أَخْدَانٍ، وَكَانُوا بِعُقُولِهِمْ يُحَرِّمُونَ مَا ظَهَرَ مِنْ الزِّنَا وَيَحِلُّونَ مَا بَطَنَ "(٢) ، ولما كان هذا الفرق معتبرًا عندهم ، أفرد الله كل واحد من هذين القسمين بالذكر ، ونصّ على حرمتهما معًا، ونظير ذلك قوله تعالى:﴿ **قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ** ﴾ (٣)(٤).

وبهذا التأصيل الدلالي والتفريق بين دلالة الكلمتين تنتفي شبهة تكرار المعنى بعطفه على نفسه وإثبات الفرق الدلالي بين اللفظتين .

---

(١) نفسه.

(٢) أحكام القرآن لابن العربي ١/ ٥١٦.

(٣) من الآية ٣٣/الأعراف.

(٤) ينظر: تفسير آيات الأحكام للسايس صـــ : ٢٦٧.

وبمعرفة دلالة كلمة ((أخدانٍ)) والرجوع إلى السياق الذي وردت فيه ، يتبين أنّ المعنى هو : أعطوهن أجورهن حال كونهن محصنات (أي : متزوجات منكم) لا مستأجرات للبغاء جهراً وهن المسافحات ، ولا سرّا وهن متخذات الأخدان والأصحاب .

إذن فليس معنى قوله تعالى: ((ولا متخذات أخدان)) النهي عن الصداقة كما فهمه أعداءُ الإسلامِ وراحوا يتهمونه بالانغلاق الفكري والتأخر الاجتماعي .

ولو كلَّف هؤلاء أنفسهم بقراءة الآية من أولها ، لعلموا علم اليقين أنّ الإسلام أراد أن يرتقي بالمرأة حفاظًا على شرفها وتكريمًا لشأنها .

ومن تلك اللمسات التي تحمل طابع التكريم للمرأة بوجه عام وللأمة بوجه خاص ، ما دلّ عليه سياق الآية الكريمة من دلالات أذكر منها :

١- الإباحة لمن قصرت يده عن التزوج من الحرائر، وخشى على نفسه الوقوع فى المعصية، وغشيان المنكر- أن يتزوج من الإماء، حيث مهرهن قليل، ونفقتهن يسيرة، بالنسبة للحرّة.. وذلك بعد إذن أهلهن، ومالكى رقابهن. فهذه الإباحة تفتح باباً واسعاً لتحرير الإماء ، وتخليصهن من الرق.. فواجب الرجل الذي تزوج بالأمة ، أن يحصنها وأن يبعدها عن التبذل والامتهان ، اللذين يغلبان على حياة الإماء.. فالزوجة الأمة، ليست هى الآن أمة فى الحياة الزوجية ، وإنما هى زوجة ، لها عند الرجل الحرّ ما للزوجة الحرة عند زوجها..

٢- لو تدبر أعداء الإسلام قوله تعالى : ﴿ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُم مِّن فَتَيَـٰتِكُمُ ٱلْمُؤْمِنَـٰتِ ﴾ [1] ، لوجدوا لمسة رقيقة رفيقة ، من لمسات

(١) من الآية ٢٥/النساء.

السماء ، لتعطف القلوب على هؤلاء الفتيات ، ولتفتح عليهن باب الأمل والرجاء ، فى حياة كريمة، يجدنها فى آفاق الحياة الزوجية ، ويخرجن بها عن دائرة العبودية ، والامتهان!.

٣- إنّ تحويل الأمة إلى زوجة لرجل حرّ، يجعلها فى ضمان رجل يرعاها، ويتعهد شؤونها، ويقوم على أمرها، بعد أن كانت هملاً مطلقًا، لا ينظر إليها إلا كما ينظر إلى متاع أو حيوان .

٤- لقد أعاد الإسلام للإماء كرامتهن من خلال الوصف القرآني : ((من فتياتكم)) و لم يقل : ((من إمائكم)) . فضلاً عن إضافتهن إلى المجتمع الإسلامى ، فهنّ بهذا الوصف من أبناء هذا المجتمع، ومن فتياته، ولسن من عالم غريب عنه.

٥- وصفهن بالمؤمنات ، فى مقابل وصف الحـــرائر المحصنات بهذا الوصـــف

..﴿ وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾ ، فهؤلاء وأولئك جميعًا- حرائر وإماء - على مترلة واحدة عند الله ، فى التعرف إليه ، والإيمان به.. وفى هذا المقام يكون التفاضل بين إنسان وإنسان.. فربما تبلغ الأمة بإيمانها مترلة رفيعة عند الله، تتقطع دونها أعناق كثير من الحرائر المؤمنات.. إذن الإيمان بالله ، والعمل بمقتضى هذا الإيمان هو الذي يحدّد درجات الناس عند الله ، ويرفع منازلهم ، إذ لا حرّ ولا عبد عند الله ، الذي خلق الناس جميعا من نفس واحدة، وولّد بعضهم من بعض..

٦- مساواة الأمة بالحرّة فى أنها تستحق المهر عند الزواج وهو قوله تعالى : ((وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ)) .. وأكثر من هذا كله ، فى صنيع الإسلام للرقيق، وفى العمل على فك رقبته.

٧- كذلك من صور تكريم الله للأمة ألاّ يجعل مهر الفتاة لسيدها. فمهرها إنما هو حق لها. لذلك يخرج من قاعدة أن كسبها كله له . فهذا ليس كسبًا ، إنما هو حق ارتباطها برجل لذلك قال سبحانه : ﴿ وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ﴾ وهو بذلك يكرمهن عن أن يكن بائعات أعراض بثمن من المال ، إنما هو النكاح والإحصان. فإذا كان بعض الذين يتزوجون بالإماء يستخفّون بحرمتهنّ ، ولا يجدون كبير حرج فى أن يظللن على حياتهن قبل الزواج من التبذل والامتهان- فإن فيما لفتهم الله سبحانه وتعالى إليه فى قوله جلَّ شأنه :﴿ مُحْصَنَٰتٍ غَيْرَ مُسَٰفِحَٰتٍ وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخْدَانٍ ﴾ ما يوقظ فى نفوسهم نخوة الرجال ، وغيرة الأحرار، وبسط أيديهم على أولئك الزوجات ، الأمر الذي لا يستقيم إلا إذا تحررت الزوجات من الرّق وخلصت لأيديهم[1].

❁ ❁ ❁ ❁ ❁ ❁

(١) ينظر: التفسير القرآني للقرآن ٣/ ٧٥٧-٧٦٠، وفى ظلال القرآن ٢/ ٦٢٨.

المبحث الثالث : في دلالة تركيب: (ظاهر الإثم وباطنه) :

==========

وردت هذه اللفظة دالة على ((الزنا)) في قوله تعالى: ﴿ وَذَرُواْ ظَٰهِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَبَاطِنَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡسِبُونَ ٱلۡإِثۡمَ سَيُجۡزَوۡنَ بِمَا كَانُواْ يَقۡتَرِفُونَ ﴾(١).

اعترض المشككون على تفسير كلمة الزنا بالإثم ، متسائلين : كيف يكون للزنا ظاهر وباطن ؟.

وبالرجوع إلى الدلالة اللغوية للفظة ((الإثم)) تبين أنها تدل في الأصل على الذَّنب والوزر فِي الْمعْصِيَة. ثمَّ يستعار فِيمَا يحصل بِهِ الْإِثْم. يُقَال : فلَان آثم ، وأثيم.. وَيُقَال : أَثم : إِذا وَقع فِي الْإِثْم. وتأثم : إِذا تحرج من الْإِثْم ، وكف عَنهُ .. هذا وقد ذكر أهل التَّفْسِير أَن الإثم في القُرْآن على ستَّة أوجه : –

أَحدهَا: الزِّنَا. وَمِنْه قَوْله تَعَالَى : ﴿ وَذَرُواْ ظَٰهِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَبَاطِنَهُۥٓۚ ﴾(٢).

---

(١) من الآية ١٢٠/الأنعام.

(٢) نفسه.

وَالثَّانِي: الْخَطَأ.وَمِنْه قَوْله تَعَالَى:﴿ **فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا** ﴾ (١).

وَالثَّالِث: الشّرك. وَمِنْه قَوْله تَعَالَى :﴿ **وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ** ﴾ (٢) .

وَالرَّابِع: الْمعْصِيَة دون الشّرك. وَمِنْه قَوْله تَعَالَى: ﴿ **تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ** ﴾ .

وَالْخَامِس : الْحَرَام . وَمِنْه قَوْله تَعَالَى :﴿ **أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا** ﴾(٣) .

وَالسَّادِس : الْخمر. وَمِنْه قَوْله تَعَالَى:﴿ **قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ** ﴾ (٤)(٥).

وبالرجوع إلى ماقاله المفسرون تبين أن ظاهر الإثم – في سياق الآية الكريمة – هو الإعلان بالزنا وباطن الإثم الإسرار به ، ويدل على ذلك السياق الخارجي ، وهو أن العرب كانوا يستبيحون الزنا، وكان الشريف منهم يتشرف فيسر به ، وغير الشريف لا يبالى فيظهره(٦) ، وقال السدي : أما الظاهر فالزواني في الحوانيت

---

(١) من الآية ١٨٢/البقرة.

(٢) من الآية ٦٢/المائدة.

(٣) من الآية ٢٠/النساء.

(٤) من الآية ٣٣/الإعراف.

(٥) بتصرف: نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر صـــ ١٤٧-١٤٨.

(٦) ينظر: الوجوه والنظائر لأبي هلال العسكري صـــ : ٩٩، وتفسير الماوردي ٢/ ١٦١ ،والسمعاني ٢/ ١٣٩.

وهنّ أصحاب الرايات. وأما الباطن فالمرأة يتخذها الرجل صديقة فيأتيها سراً، وقال الضحاك : كان أهل الجاهلية يستسرون بالزنا ويرون أن ذلك حلالاً ما كان سراً فحرم الله السر منه والعلانية(١).

إذن ((ظاهر الإثم)) يتميز بملمح الإعلان والجهر بعملية الزنا. و ((باطن الإثم)) يتميز بملمح الإسرار والخفاء بهذه العملية .

كما يلاحظ أنّ لفظ الإثم – في سياق الآية – انتقل من معناه العام الدال على الأفعال المبطئة عن الثواب إلى معنى خاص وهو ((الزنا)).

وبالنظر إلى دلالة السياق اللغوي نجد أنّ تركيب ((ظاهر الإثم وباطنه)) تقدمه الفعل (ذروا) ومعناه : اتْرُكُوا ، أي : اتركوا ظاهرَ الإثمِ وباطنة ، مما يدل على حرمة الزنا في السِّر والعلن.

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل ٢/ ١٥١.

المبحث الرابع : لفظة : (الهمّ) :

==========

وردت لفظة ((الهمّ)) مرتين في قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ ﴾[1].

وقد ذَهَبَ أعداء الإسلام الذين لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا، إلى أَنَّ القرآنَ اتهم يوسفَ عليه السلام بالهَمِّ بالزنا بامرأة العزيز، ومن هؤلاء عبدالله الفادي[2] الذي أساء فَهْمَ إخبارِ القرآنِ عن ما جَرى بين يوسفَ – صلى الله عليه وسلم –، وبين امرأة العزيز مستشهداً على ذلك بما قاله بعض المفسرين من أنّ المراد " قَصدَتْ مخالَطتَه

---

(١) من الآية ٢٤/يوسف.

(٢) هو رجلِ دينٍ نصرانيّ وهو صاحب كتاب ((هل القرآنُ معصوم؟)) ، حيث زَعَمَ فيه أَنَّ القرآنَ ليس معصوماً من الأَخطـــاء ، وقد صَدَرَ هذا الكتابُ عن مؤسسة تنصيرية في النمسا، اسْمُها "ضوءُ الحياة " ، وظهرتْ طبعَتُه الأُولى عام (١٩٩٤م) ، وقامت بتوزيعه هيئاتُ ومراكزُ التبشيرِ النصرانية، ودَعَتْ مؤسسةُ " ضوءِ الحياة " إلى مراسلتِها، لإرسالِ الكتابِ لمن يَطلبونَه، كما أَنها أَنْزَلَتْه على " الإنترنت "

وقَصدَ مخالَطَتَها، والهَمُّ بالشيءِ قَصدُه والعَزْمُ عليه، ومنه " الهَمّامُ ، وهو الذي إِذا قَصَدَ شيئاً أَمْضاه"(١).

وقال بأنّ هذا القول يُناقضُ ما جاء في الكتاب المقدس : " أنَّها لما طَلَبَتْ منه الشَّرَّ استنكرَ طَلَبها، وقال: كيفَ أَصنعُ هذا الشَّرَّ العظيم، وأُخطئُ إِلى الله؟! وكان إذ كلمت يوسف يومًا فيوماً أنه لم يسمح لها أن يضطجع بجانبها ليكون معها . ثم حدث نحو هذا الوقت أنه دخل البيت ليعمل عمله، ولم يكن إنسان من أهل البيت. فأمسكته بثوبه قائلة : اضطجع معي ! . فترك ثوبه في يدها وهرب وخرج إلى خارج"(٢).

والحق أنّ حديث الكتاب المقدس عن تبرئة سيدنا يوسف – عليه السلام- فما هو إلا إدانة له ، حيث يذكر أنه ترك ثوبه مع امرأة العزيز وخرج .

وهذا القول ينال من قدرات سيدنا يوسف العقلية. فكيف يليق بنبي الله عليه السلام أن يهرب عاريًا ويترك دليلاً على إدانته (وهو ثوبه في يدها) ؛ ليثبت الجريمة على نفسه ؟. فهذا خطأ لا يتناسب مع عقل وفكر أيّ إنسانٍ عاديٍّ ، فكيف بسيدنا يوسف عليه السلام وقد عصمه الله في عقله وفكره؟ .

أما ما جاء في الآية الكريمة من الإشارة إلى همٍّ سيدنا يوسف فإنه لا يفيد أنه عزم على ارتكاب الفاحشة ، وحتى نفهم دلالة قوله تعالى : ((وهمَّ بها)) على الوجه اللائق ينبغي أن نؤصل للفعل (همَّ) من الناحية الدلالية.

يقول ابن فارس: "الْهَاءُ وَالْمِيمُ: أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى ذَوْبٍ وَجَرَيَانٍ وَدَبِيبٍ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ ..ومِنْهُ قَوْلُ الْعَرَبِ: هَمَنِي الشَّيْءُ : أَذَابَنِي. وَانْهَمَّ الشَّحْمُ : ذَابَ..

---

(١) ينظر: تفسير البيضاوي ٣/ ١٦٠ ، و السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير ٢/ ١٠٠.

(٢) سفر التكوين ٩-١٢/٣٩.

وَالسَّحَابُ الْهَامُومُ : الْكَثِيرُ الصَّوْبِ .. وَالْهَمِيمَةُ : الْمَطْرَةُ الْخَفِيفَةُ.. "[1]، والهِمُّ : الشيخ الفاني ، تحلل جسمه وفرغ كأنما ذاب من الكبر ، والهَوَامُّ : الحيات، لانسيابها في سيرها على وجه الأرض مع دقتها كالسائل الذائب[2] ، والهَمُّ الحَزَنُ الذي يذيب الإنسان .. والهَمُّ : ما هممت به في نفسك[3] – وهو محل الدراسة هنا– "ومعناه في كلام العرب : حَدِيثُ الْمَرْءِ نَفْسَهُ بِمُوَاقَعَتِهِ ، مَا لَمْ يُوَاقِعْ "[4] ، ولعله سمي بذلك ؛ لسرعة ذوبان تلك الخواطر وتحركها من العقل .

إذن فالمعنى المحوري لتركيب (همم) هو :" ذوبان الشيء مُتسيبًا مما يجمعه لحرارة أو شدة[5] ، قلت : وهذا هو الأصل الدلالي لتركيب (همم) ، ثم يتفرع منه الدلالة على الحركة أو الدبيب ، لأنّ كل شيء يذاب – لاشك– أنه يتحرك من مكانه أو يدب .

هذا وقد ذكر أبو حيان أنّ " أَوَّلَ مَا يَمُرُّ الْأَمْرُ بِالْقَلْبِ يُسَمَّى خَاطِرًا ، فَإِذَا تَرَدَّدَ صَارَ حديث نفس ، فإذ تَرَجَّحُ فِعْلُهُ صَارَ هَمًّا، فَإِذَا قَوِيَ وَاشْتَدَّ صَارَ عَزْمًا، فَإِذَا قَوِيَ الْعَزْمُ وَاشْتَدَّ حَصَلَ الْفِعْلُ أَوِ الْقَوْلُ"[6].

وعلى ذلك فالهمُّ : هو مقاربة الشيء من غير دخول فيه[7] ؛ لأنه مجرد خاطر يعترض القلب ثم يذوب ويتحرك ، أو مجرد خطور الشيء في البال ، وإن لم يقع

---

(١) مقاييس اللغة (هـ م م) ٦/ ١٣.

(٢) ينظر: المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن (هـ م م) ٥/ ٢٣١٨.

(٣) المفردات في غريب القرآن (هـ م م) صـ : ٨٤٥.

(٤) تفسير الطبري ١٦/ ٣٤.

(٥) المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن (هـ م م)٥/ ٢٣١٦.

(٦) البحر المحيط ٣/ ٣٢٥.

(٧) إعراب القرآن للأصبهاني صـ: ١٦٨، والنكت في القرآن الكريم صـ : ٢٦٥.

العزم عليه ، لقوله تعالى : ﴿ إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ (١)، وهذا يعني " أن الفشل خطر ببالهم ، ولو كان هنا عزمًا لما كان الله وليهما، لأن العزم على المعصية معصية ، ولا يجوز أن يكون الله ولي من عزم على الفرار "(٢).

وهذا بخلاف"العزم الذي هو تصميم القلب على الشئ، والنفاذ فيه بقصد ثابت.

وقد يخرج الهم عن دلالته الأصليه فيأتي بمعنى العزم على الفعل دون الأخذ في تنفيذه كقوله تعالى:﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ ﴾ (٣) ، أي صمموا النية وعزموا عليه، فيرادف العزم(٤).

وهذا ما جعل العلماء يقولون بأنّ : " الْهَمَّ هَمَّانِ ، هَمٌّ ثَابِتٌ وَهُوَ إِذَا كَانَ مَعَهُ عَزْمٌ وَعَقْدٌ ورضى ، مِثْلُ هَمِّ امْرَأَةِ الْعَزِيزِ ، وَالْعَبْدُ مَأْخُوذٌ بِهِ ، وَهَمٌّ عَارِضٌ وَهُوَ الْخَطْرَةُ وَحَدِيثُ النَّفْسِ مِنْ غَيْرِ اخْتِيَارٍ وَلَا عَزْمٍ ، مِثْلُ هَمِّ يوسف عليه السلام ، والعبد غير مؤاخذ به مَا لَمْ يَتَكَلَّمْ أَوْ يَعْمَلْ"(٥) ، ويدل على ذلك قول رسول الله ﷺ ، قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : ((إِذَا هَمَّ عَبْدِي بِسَيِّئَةٍ فَلَا تَكْتُبُوهَا عَلَيْهِ، فَإِنْ عَمِلَهَا

(١) الآية ١٢٢/آل عمران.

(٢) الفروق اللغوية صـــ : ٣٥٦-٣٥٧.

(٣) من الآية ١١/المائدة.

(٤) الفروق اللغوية صـــ : ٣٥٦- ٣٥٧.

(٥) تفسير البغوي ٢/ ٤٨٥.

فَاكْتُبُوهَا سَيِّئَةً ، وَإِذَا هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا فَاكْتُبُوهَا حَسَنَةً، فَإِنْ عَمِلَهَا فَاكْتُبُوهَا عَشْرًا))[1].

وقد رُوِي عن ابن المبارك أنه قال : قلت لسفيان: أيؤخذ العهد بالهمّة؟ قال: إذا كان عزمًا أخذ بها[2].

ولم يفهم أعداء الإسلام هذا الفرق الدلالي وجهلوا وتجاهلوا دور السياق في تحديد المعنى المراد ، فراحوا يتهمون القرآنِ بأنه قد نسب الهمَّ لسيدنا يوسف عليه السلام، واعتبروا حديثَ القرآنِ الخاطئ -بزعمهم- متعارِضًا مع حديثِ العهدِ القديمِ الصائبِ في نظرهم.

فالذي يجعلنا نفرق بين الهمَّين في سياق هذه الآية الكريمة هي معطيات السياق العام وهو سياق الحديث عن أمر مراودة ، وامتناع واستعصام سيدنا يوسف عليه السلام، واقتضى ذلك الأمر مفاعلة بين اثنين يتصارعان في شيء. فالهم منها معناه: العقد والعزم والرضى ، وقد دلّ على ذلك معطيات السياق وهي :

١- فعل المراودة منها: ﴿ وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ ﴾.

٢- تغليقها للأبواب : ﴿ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ ﴾ ، وكأنها قد علمت من طول صحبتها له أنَّه لن يستجيب لهذه الجريمة الفظيعة فعمدت إلى الأبواب وغلقتها.

٣- قولها : ﴿ هَيْتَ لَكَ ﴾. لقد تهيأت لك فهلُمَّ وأقْبِل ، فالمكان خالٍ ، وليس هناك من ينغص خلوتنا.

٤- قولها : ﴿ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴾.

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه ١/ ١١٧.

(٢) تفسير الثعلبي ٥/ ٢١١.

في حين أنَّ الهمَّ من سيدنا يوسف عليه السلام كان مجرد همٍّ عارضٍ وهو الخطرة وحديث النفس من غير اختيار ولا عزم وقد دلّ على ذلك معطيات السياق وهي :

١- مجيء كلمة ((لولا)) الدالة على الامتناع في قوله : ﴿ لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ﴾ ، والبرهان هو : قوةُ الإيمانِ في قلْبه، واستحضارُه رقابةَ اللهِ ومَعِيَّتَه ، فإن هَمَّت نفسه بسوءٍ استطاع بقوة الإيمان ، وبالعقيدة الرَّاسخة ، أن يكبح زمام نفسه ،ويقِّد هواه ، فلا انزلاق لشيطان ما دام الله – سبحانه وتعالى – أمام ناظِرَيه ، وما دامت رعاية الله تحيط به، لذلك رَدَّ قائلاً : ﴿ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ ﴾.

٢- اعترافها بأنها هي التي راودته وأنه قد طلب العصمة. وأَنه كانَ يُقابلُ مراودتَها وإغراءَها وفتنتَها بالتعفُّفِ والتَّرَفُّع، وهذا ما اعترفَتْ هي به لنساءِ المدينة ، قال تعالى: ﴿ قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ ۖ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ ۖ ﴾.

٣- شهادة الله له ومن أصدق من الله قيلا، بأنه قد صرف عنه السوء والفحشاء : ﴿ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ ، وهذا دليل على أنّ سيدنا يوسف عليه السلام معصوم لم يذهب إلى السوء والفحشاء ، فقد كان كالجبل الثابت في مكانه ، لكنَّ السوء والفحشاء هما اللذان قد ذهبا إليه ، لذلك صرفهما الله عنه ، والفحشاء –كما تقدم – هي مجرد التصور والتفكر في

((الفاحشة)) ، فإذا كان الله قد صرف عنه تصور الفاحشة فمن باب أولى أن يصرف عنه الفاحشة نفسها.

٤- شهادة زوجها فيما حكى الله عنه في قوله : ﴿ إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ ۖ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴾ بمعنى لا تتكلم يا يوسف في هذا الأمر ولا تحدث أحدًا فيه، فإني عالم ببراءتك. ثم نظر إليها بغضب وقال :﴿ وَٱسْتَغْفِرِى لِذَنۢبِكِ ۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِـِٔينَ ﴾ بادعائك على يوسف وإسنادك الفعل إليه.

٥- شهادة الولد كما حكى الله عنه بقوله : ﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ ﴾.

٦- شهادة يوسف عليه السلام بقوله كما ذكر الله عنه : ﴿ هِىَ رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِى ۚ ﴾ وهو عليه السلام لا ينطق عن هوى لاعتصامه بالنبوة الكاملة المبرأة من كل عيب.

٧- اختياره للسجن حينما خيرته من أن يكون أميرًا ينام على الحرير في معصية الله أو عبدًا ينام على الحصير سجينًا في طاعة فاختار طاعة الله فقال : ﴿ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ ۖ ﴾.

فكل هذه المعطيات السياقية تؤكد بَرَاءَةَ سَاحَتِه عليه السلام مِنْ الْعَزِيمَةِ عَلَى الْمَعْصِيَةِ.

إذن الهم في حق سيدنا يوسف هو مجرد خاطر أو حديث نفس بدليل أنه طلب العصمة من الله فعصمه الله بعنايته ، لذلك لّما تكلَّم ابْنِ عَطَاءٍ أحدُ أَئِمَّةِ الصُّوفِيَّةِ عن

تَبْرِئَة سيدنا يوسف عليه السلام مِنْ المَكْرُوهِ الذي نُسِبَ إِلَيْهِ ، فَقَامَ رَجُلٌ فَقَالَ لَهُ: يَا سَيِّدِي ، فَإِذَنْ يُوسُفُ هَمَّ وَمَا تَمَّ . فَقَالَ: نَعَمْ ؛ لِأَنَّ الْعِنَايَةَ مِنْ ثَمَّ[1].

وعناية الله وعصمتة ليوسف عليه السلام يصحبها الكمال في فسيولوجية أعضائة حَسْبَ الطبيعةِ البشريَّةِ التي هي جُزْءٌ منه مع عفة نفسه وطهارته ، فلو أنّ القرآن نفى عن سيدنا يوسف ((الهم)) – الذي هو مجرد الخاطر– كأن يقول – مثلاً– : (ولقد همت به و لم يهم بها) لظن من يسمع ذلك أنَّ سيدنا يوسف كان عِنينًا ، والعِنين : "هو من لَا يَقْدِرُ عَلَى إِتْيَانِ النِّسَاءِ أَوْ لَا يَشْتَهِي النِّسَاءَ"[2] ، ومثل هذا لا يمدح بترك الزنا، لأنه ربما تركه من أجل هذا السبب وليس انقيادًا لأوامر الله .

لكنَّ قمة الإيمان والانقياد لأوامر الله سبحانه تعالى أن يُوجد الهم الذي هو الخاطر (تحرك النفس حركة بسيطة) ، ثم ينازعه سيدنا يوسف ويفوز عليه ويجعله يذوب ولا يبقى منه شيء ، وهذا المعنى يتفق مع المعنى الدلالي الذي تدور عليه مادة (هـــ م م) من الدلالة على الحركة والذوبان ، فكأنّ نفسه تحركت بهذا الخاطر ثم سرعان ما ذاب هذا الخاطر من نفسه .

لذلك يقول الإمام الشعراوي : "القرآن لو لم يذكر الهمَّ بها ؛ لكان المانع من الهَمِّ إما أمر طبيعي فيه، أو أمر طاريء لأنها سيدته ، فقد يمنعه الحياء عن الهَمِّ بها. ولكن الحق سبحانه يريد أن يوضح لنا أن يوسف كان طبيعياً وهو قد بلغ أشُدَّه ونُضْجه؛ ولولا أن رأى برهان ربه لَهَمَّ بها. وهكذا لم يَقُمْ يوسف عليه السلام بما يتطلبه ذلك لنقص فيه؛ ولا لأن الموقف كان مفاجأة ضَيَّعَتْ رجولته بغتة؛ مثل ما

---

(١) ينظر: أحكام القرآن لابن العربي ٣/ ٤٧.

(٢) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ٢/ ٤٣٣.

يحدث لبعض الشباب في ليلة الزفاف ، حين لا يستطيع أن يَقربَ عروسه؛ وتمر أيام إلى أن يستعيد توازنه. ويقرب عروسه"(١).

ومما يؤيد هذا المعنى قوله حينما رأى إحاءات وإشارات أعين النسوة – اللاتي قطعن أيديهن – وما فيها من تلقف له : ﴿ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ (٢). فمعنى (أصب إليهن) أي أميل إليهن ميلاً نفسيًا ، لأن الصبوة هي ميل النفس من صبا يصبو، بمعني مال ، لذلك قالوا : " صبت النخلة تصبو أي : مالت"(٣).وقد حماه الله من هذه الصبوة فقال : ﴿ فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾(٤).

فيتبين مما سبق أنّ القرآن الكريم قد بلغ قمة الإعجـــاز الدلالي في اختيار لفظة ((الهمِّ)) دون غيرها ، إذ ألمحت الكلمة إلى كمال بنيته مع الاحتفاظ بعفته وعصمته ، وهذا سرٌ دلالي رهيف لا يقدر علي التقاطه بلداء الذهن والذوق من هؤلاء المشككين.

هذا وقد اختار أبو حيان –رحمه الله– أنّ يوسف لم يقع منه هم البته ، وأوّل الآية على أنه كاد يهم لولا رؤية البرهان(٥) ، ولم يسترح الدكتور محمد حسن جبل إلى هذا التأويل وأخذ يؤسس لتفسير علمي بالرجوع إلى الشيء المادي

---

(١) تفسير الشعراوي ١١/ ٦٩١٢.

(٢) الآية ٣٣/يوسف.

(٣) معجم وتفسير لغوى لكلمات القرآن٢/ ٤٢٤.

(٤) الآية ٣٤/يوسف.

(٥) البحر المحيط في التفسير ٦/ ٢٥٧.

المحسوس مطبَّقا ذلك على الأصـــل الدلالي للكلمة وهو ((الذوبان)) ، فذكـــر أنّ "الهمَّ درجات ، والشحم لا يذوب مرة واحدة وإنما يبدأ ضعيفًا فإذا توقفت الإذابة جمد . وقد قالوا ((الهَميمة : المطر الضعيف الهين ..)) فهو عليه السلام هم همًا ضعيفًا قد يتمثل في تحرك نفسه أدنى حركة كما يرى الشاب امرأة في وضع بالغ الإثارة فجأة ، ثم قد يتنبه للرشد بعد استيعاب الموقف . أما هي فكان همها قويًّا مخططًا ، لكنها لا تملك أكثر من التعرض والكلام . ولذا تظل في دائرة الهمَّ ، وإن كان همًّا قويًا بسبب شدة رغبتها وأنه (هو في بيتها).. وأنها زوجة وزير ..كما أنَّ مثل هذه المحاولة لا تجدي مع الطرف الإيجابي إذا كان مستعصماً"[1].

يستنتج مما سبق ما يأتي:

١- أصل دلالة ((الهمِّ)) في اللغة الذوبان والحركة ، والعلاقة بينهما : أنّ الشيء إذا ذاب تحرك من مكانه.

٢- ثم سمي الخاطر الذي هو حديث المرء نفسه بمواقعته ما لم يواقع ((همًّا)) ؛ لسرعة ذوبانه وتحركه.

٣- أحيانًا يستعمل ((الهمُّ)) بمعنى العزم بدلالة معطيات السياق ، فالمراودة من امرأة العزيز تقتضي ((الهمُّ)) بمعنى العزم والقصد ، وقول يوسف : (معاذ الله) يقتضي همَّ الطباع مع الامتناع (بمعنى : الخاطر الذي هو حديث المرء نفسه) ليس إلاّ .

٤- إنّ في إسناد الهمِّ (مجرد الخاطر) ليوسف عليه السلام فيه دلالات عدة منها :

- كمال طابعه البشري من ناحية فسيولوجية الأعضاء.

---

(١) المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن (هـــ م م)٥/ ٢٣١٨.

- عدم اهتزاز شخصه النبوي أمام تلك المرأة مع امتلاكها مقومات الجريمة من مال وقصر وأبواب مغلقة فضلاً عن منصبها السياسي ، وعلى الرغم من ذلك لم تضعف قواه أمامها ولم يهتز من الناحية النفسية ، فلو نُفي عنه ((الهمَّ النفسي)) لقال قائل : ربما لم يهمَّ لضعفٍ في بدنه أونفسه.
- إنَّ في إسناد الهمِّ النفسي له وامتناعه عن فعل تلك الفاحشة مع قدرته على ذلك، دليل على منتهى قمة انقياده لأوامر الله تعالى واجتناب ما نهى الله عنه ، لذلك مدحـــه الله بقوله : ﴿ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾.

٥- إنّ هذين الفعلين : (همّت ، همّ) " يختزنان بهدف الأدب كلّ تفاصيل الحادثة ..فقد اكتفى البيان القرآني بالهمّة ، فما قرأنا انكشاف صدر، أو نزع ثياب ..كما هي الحال في كثير من الأدب الروائي، مما يثير الغرائز الحيوانية، ويستفزّ النوازع المريضة"(١).

❁ ❁ ❁ ❁ ❁ ❁

المبحث الخامس : في دلالة لفظة : (السوء) :

==========

وقف أعداء الإسلام – عند قول الله تعالى في قصة يوسف:﴿ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾(٢) – قائلين : إنّ

(١) بتصرف :جماليات المفردة القرآنية صـــ:٢٥٦- ٢٥٧.

(٢) الآية ٥٣/ يوسف.

القرآن يتهم نفس يوسف بأنها شهوانية أمّارة بالسوء وهو الزنا ، فكيف لا يبرئ يوسفُ نفسَه من السُّوء وهي بريئة زَكِيَّةٌ ثَبَتَتْ عِصْمَتُهَا وَعَدَمُ مُوَاقَعَتِهَا السُّوءَ ؟ وراحوا يستدلون على ذلك بما ذكره الطبري في تفسيره من أنّ يوسف لما قال : ﴿ ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ ﴾ (١)، قال له جبريل : ولا حين هممت بفك سراويلك ؟ فعند ذلك قال يوسف : ﴿ وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي ۚ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي ۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (٢)(٣).

وللرَّد على هذه الشبهة كان لابد من معرفة الأصل الدلالي لكلمة (السوء) ومعرفة دلالتها في السياقات التي وردت فيها في جوِّ هذه القصة .

وبالرجوع إلى معاجم اللغة تبين أنّ المعنى الدلالي المحوري لتركيب (سوأ) يدور حول معنى: العيب ، أو النقص ، أو القبح ، أو الفساد ، أو المرض يخالط ظاهر الشيء .. ومن ذلك : السّوْأَة : فرج الرجل والمرأة ، لأنّ الفطرة السليمة تستقبح أوتستكره ظهورها...ثم يُنقل السوء إلى القبح المعنوي كالسيئة والخطيئة(٤)، ومن هنا سُمِّيَتِ السَّيِّئَةُ سَيِّئَةً ؛ لقبحها أو كرهها . وَسُمِّيَتِ النَّارُ سُوأَى، لِقُبْحِ مَنْظَرِهَا أو كرهها . قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:﴿ ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوأَىٰ أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ ﴾ (٥)(١). ويقال : "ساءَهُ سَوْءًا ..فَعَلَ به ما يَكْرَهُ ، فاسْتَاءَ هو"(٢).

---

(١) الآية ٥٢/يوسف.

(٢) من الآية ٥٣/يوسف.

(٣) تفسير الطبري ١٦/ ١٤٥.

(٤) بتصرف : المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن (س و أ) ٣/٩٣٧ -٩٣٨.

(٥) من الآية ١٠/الروم.

والسوءُ لفظٌ جامعٌ لكل ما يُتَّهَمُ به الإنسان من الأمور الدنيوية والأخروية. كما تعد هذه اللفظة من كنايات القرآن التي تجمل ، وفيها من الحياء والحشمة ما فيها .

هذا وقد وَذكر أهل التَّفْسِير أَن (السوء) جاء فِي الْقُرْآن على أحد عشر وَجهًا[٣] منها : الدلالة على الزنا ، ومنه قوله تَعَالَى فِي يُوسُف : ﴿ قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [٤] ، ومنه : ﴿ قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ ﴾ [٥] ، وَفِي مَرْيَم: ﴿ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ ﴾ [٦] .

وهنا يلاحظ أنّ الملمح الدلالي المميز للفظ السوء في دلالته على الزنا ، هو الكره ؛ فالزنا شيء مكروه تكرهه الطبيعة الإنسانية لذلك أمر العزيزُ يوسفَ أن يستر امرأته بعد أن تبينت له تلك الحقيقة ، فقال : ﴿ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا ﴾[٧] أي : يا يوسفُ أعرض عن هذا الذي حدث ولا تذكره لأحدٍ واكتمه، وأنت يا زليخا استغفري لذنبك ، ﴿ وَٱسْتَغْفِرِى لِذَنۢبِكِ إِنَّكِ كُنتِ

(١) مقاييس اللغة (س و أ) ٣/ ١١٣.

(٢)ينظر: لسان العرب ١/ ٩٥ ،والقاموس المحيط صـ: ٤٣ ، ،والمعجم الوسيط(س وأ) ١/ ٤٥٩.

(٣) ينظر: نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر صـ: ٣٦٧.

(٤) من الآية ٢٥/يوسف.

(٥) من الآية ٥١/يوسف.

(٦) من الآية ٢٨/ مريم.

(٧) من الآية ٢٩/ يوسف.

﴿ مِنَ ٱلْخَاطِـِٔينَ ﴾ [1] ؛ فهو بذلك يأمر بالتَّستُّر والتحفظ وعدم إظهار الفضائح الجنسية لما لها من عواقب وخيمة ولا يقبلها أي إنسانٌ ، حتى ولو عاش في مجتمع جاهلي.

وبالنظر في السياق القرآني الذي وردت فيه هذه الكلمة دالة على الزنا – في قصة يوسف – ، يتضح التركيز على ملمح (**الكره**) ؛ إذ وردت على لسان امرأة العزيز بعد أن راودت يوسف عن نفسه فأبى ، وعندما تفاجأت بزوجها العزيز ، يدخل في نفس اللحظة التي كان يوسف يركض مولِّيًا الأدبار ، وهنا يصيبنا الذهول العميق حين نسمع امرأة العزيز ترمي يوسف بتهمة الخيانة بلفظ (السوء) وليس بلفظ (الزنا) ، فهي لم تقل : (ما جزاء من أرد بأهلك زنا) إذ لو قالت ذلك ، لجعلته يظن بها أنها من الممكن أن تكون قد اشتركت معه في إرادة الزنا ، لكنها قالت : ﴿ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا ﴾ ، وكأنها تريد أن تبين للعزيز أنّ يوسف أراد أن يفعل معها ما أراده هو ، وكرهته هي ، وهو السوء (أي: الزنا المكروه) ، فهي تريد أن تتنصل من تهمتها وتلصقها به ، وهنا يقفز إلى بؤرة شعورنا قول الله تعالى : ﴿ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴾ [2].

والحقيقة أنّ زليخا هي التي أرادت أن تكرهه على الزنا بعد أن غلقت الأبواب

وهنا تأتي – أيضًا– كلمة السوء (الزنا المكروه) ، وقد صرفه الله تعالى عن يوسف عليه السلام ، إذ لم يذهب هو إليه ، فقدكان ثابتًا في مكانه وإيمانه كالجبل لا يتزعزع أمام تلك الجريمة ، لكنّ السوء هو الذي جاء إليه ، فصرفه الله عنه: ﴿

---

(١) نفسه.

(٢) من الآية ٢٨/ يوسف.

﴿ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ﴾ (١)، وصرف عنه الفحشاء – أيضًا – التي هي مجرد تصور الفاحشة أو التفكير فيها وليست الفاحشة ذاتها وقد سبق بيان ذلك.

وبعد أن أرجع سيدُنا يوسفُ عليه السلام الرَّسُولَ إلى ربه قائلاً : ﴿ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِى قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّى بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴾ (٢) ، وقف الملك أمام النسوة يستفسرهنَّ عن تلك الحقيقة قائلاً : ﴿ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ ﴾ (٣) ، أجابت النسوة – في جلسة الاتهام – بصوت واحد : ﴿ قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ ﴾ (٤).

وهنا تأتي كلمة السوء (الزنا المكروه) في سياق حديث نسوة المدينة عن براءة سيدنا يوسف عليه السلام وقد نَفَيْنَ عنه كل شيء قبيح مكروه تأباه الطبائع البشرية ومن جملة ذلك (الزنا) ، إذ لم يقلن : (ما علمنا عليه سوءً) ، بل قلن : (ما علمنا عليه من سوء) أي : من أصغر ما يقال عنه أنه سوء ، ما علمناه عليه ، ومثال ذلك عندما يقول واحد من الناس : « ما عندي مال » فهذا نفى أن يكون عند القائل مال، ولعل لديه قدرًا من المال القليل الذي لا يستأهل أن يسميه مالاً. ولكن إذا قال واحد : « ما عندي من مال » فالمعنى أنه لا يملك المال على إطلاقه ، ولا يملك أي شيء من بداية ما يقال عنه إنه مال .

---

(١) من الآية ٢٤/يوسف.

(٢) من الآية ٥٠/يوسف.

(٣) من الآية ٥١/يوسف.

(٤) من الآية ٥١/يوسف.

وبعد اعتراف هؤلاء النسوة ، تقدمت امرأة العزيز مطأطئةً رأسها بخجل وحياء، معترفة بالحقيقة ،كشافة الماضي الدفين – مؤكدة أنها لا يمكن أن تخون يوسف بالغيب – بأن تتهمه كما اتهمته من قبل –، أو أنها لم تخن زوجها بالغيب – قائلة : ﴿ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۞ ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ ﴾ (١).

فهذا ليس من مقالة سيدنا يوسف عليه السلام وإنما هو من مقالة امرأة العزيز، وهو ما يتفق مع سياق الآية ، فالحديث ما زال موصولاً لامرأة العزيز في معرض الاعتراف لدى الملك ، ويوسف عليه السلام لم يأت بعد ، فهو لم يزل سجينًا ، ومطلوب منها : إما أن تبرئ نفسها من تلك الجريمة ، وإما أن تبرئ يوسف عليه السلام، فقالت : ﴿ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ﴾، وكأنها توضح سبب حضورها لهذا المجلس ؛ فهي لم تحضر لتبرىء نفسها.

وبعد ذلك قالت : ﴿ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ ﴾(٢)، وهنا ما يسميه البلاغيون شبه كمال الاتصال ، وهو: أن تكون الجملة الثانية جوابًا عن سؤال يفهم من الجملة الأولى ، فكأنه قيل لها : هل النفس أمارة بالسوء؟ فقالت : ﴿ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (٣).

وبعد أن اعترف النسوة واعترفت امرأة العزيز وثبتت براءة يوسف عليه السلام ، وعرف الملك الحقيقة كاملة، وتأكد مما ألحقه بيوسف من ظلم ، وما قاساه من

(١) الآيتان ٥١-٥٢/يوسف.

(٢) الآية ٥٣/يوسف.

(٣) الآية ٥٣/يوسف.

كيد النساء ، وما سمعه من ثناء عليه ، قال من جـــديد مستعجلاً عـــودته إليه : ﴿ ٱئْتُونِي بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِى ۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴾ (١).

إذن فقوله تعالى : ﴿ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ ، هو من قول امرأة العزيز وليس من قول يوسف عليه السلام ، وهذا هو الأنسب بسياق القصة ومعاني الكلام.

فإن قال قائل : كيف لامرأة العزيز أن تقول : ﴿ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ وهي لم تكن مؤمنة آنذاك ؟.

يردُّ بأنّ عبارات التوحيد والإيمان بالله ، كانت دائمًا ما ترد على ألسنة بعض المسئولين في مصر ، وقد كان ذلك بتأثير سيدنا إبراهيم وذريته على المصريين ، وذلك مثل قول الله على لسان عزيز مصر : ﴿ وَٱسْتَغْفِرِى لِذَنۢبِكِ ۖ ﴾ ، وقول امرأة العزيز : ﴿ ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ ﴾ ، و قول النسوة مجتمعين في يوسف : ﴿ حَٰشَ لِلَّهِ ﴾ ، وقول امرأة العزيز : ﴿ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾، وهنا يقول ابن عاشور : " ذَيَّلَتْهُ بِجُمْلَةِ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ثَنَاءً عَلَى اللَّهِ بِأَنَّهُ شَدِيدُ الْمَغْفِرَةِ لِمَنْ أَذْنَبَ، وَشَدِيدُ الرَّحْمَةِ لِعَبْدِهِ إِذَا أَرَادَ صَرْفَهُ عَنِ الذَّنْبِ. وَهَذَا يَقْتَضِي أَنَّ قَوْمَهَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَيُحَرِّمُونَ الْحَرَامَ ، وَذَلِكَ لَا يُنَافِي أَنَّهُمْ كَانُوا مُشْرِكِينَ فَإِنَّ الْمُشْرِكِينَ مِنَ الْعَرَبِ كَانُوا

(١) من الآية ٥٤/يوسف.

يُؤْمنُونَ باللَّه أَيْضًا، قَالَ تَعَالَى: وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ وَكَانُوا يَعْرِفُونَ الْبِرَّ وَالذَّنْبَ"(١).

يستنتج مما سبق :

أنّ امرأة العزيز هي القائلة : ﴿ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ ﴾ ، وهذا الرأي هوالذي يوائم السياق والسباق ، وذلك لأمور عدة :

١- أنّ امرأة العزيز نسبت ليوسف عليه السلام – من قبل – فعل السوء (الزنا بالإكراه) ، بدليل قولها : ﴿ مَا جَزَآءُ مَنۡ أَرَادَ بِأَهۡلِكَ سُوٓءًا ﴾ ، فهي – هنا – تريد أن تصحح هذا المفهوم الخاطئ وتنسب السوء (الزنا بالإكراه) لنفسها هي ، فقالت : ﴿ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ ﴾ أي : الزنا بالإكراه.

٢- أنّ يوسف عليه السلام لم يأتِ إلى جلسة التحقيق إلا بعد ظهور براءته ، وبعد أن قال الملك : ﴿ ٱئۡتُونِي بِهِۦٓ أَسۡتَخۡلِصۡهُ لِنَفۡسِيۖ ﴾ ، فلم يكن يوسف حاضرا ثَمَّ ؛ بل كان في السجن ، فكيف يعقل أن يصدر منه ذلك في مجلس التحقيق الذي عقده العزيز؟.

٣- ما تحمله صيغة المبالغة ﴿ لَأَمَّارَةُۢ ﴾ من دلالة على الكثرة ، فهي ليستْ آمرةً بالسوء ، بمعنى أنها تأمر الإنسان لتقع منه المعصية مرة واحدة وينتهي الأمر، بل هي دائمة أمَّارة بالسوء ، وهذا يناسب تكرار مراودتها

(١) التحرير والتنوير١٣/ ٥ .

ليوسف عليه السلام مع إيثار الفعل المضارع ﴿ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا ﴾ [1]، إذ يدل على دوام واستمرار فعل المراوده منها تجاه يوسف عليه السلام.

٤- مجيء كلمة ((النفس)) في سياق الآية مرتين ، إذ لم تقل: (وما أبرئ نفسي إنها لأمارة بالسوء) ، بل قالت : (وما أبرئ إنّ النفس لأمارة بالسوء) ، لئلا يتوهم تخصيص ذلك بنفسها فقط، وكأنها تريد أن تشرك معها نسوة المدينة اللاتي اعترفن معها، فأعادت كلمة (النفس) وما فيها من الألف واللام التي تفيد العهد ، أي : إنّ النفس المعهودة (المعروفة) – باعترافها لديكم الآن في حضرة الملك – لأمارة بالسوء ، فيكون ذلك شاملاً لها وللنسوة اللاتي رودنه عن نفسه ، لذلك لم تعد الضمير على نفسها فقط.

٥- مجيء أدوات التأكيد (إ نّ – لأمارة) ، ومن المعلوم أنّ أدوات التأكيد لا تأتي إلا إذا كان المخاطب منكراً ومتردداً في قبول الخطاب ، وهذا يوحي بأنّ الملك ومن حوله – في جلسة الاعتراف– كانوا منكرين صدور مثل هذه الجريمة من هذه المرأة ، لاسيما وهي امرأة عزيز مصر ، فأكدت لهم بقولها : (إنّ النفس لأمارة) لترجيح كفة الإثبات.

ومن ثمّ تبطل شبهة من قال : إنّ القرآن يتهم نفس يوسف بأنها شهوانية أمّارة بالسوء وهو الزنا بأنّ قائل ذلك هي امرأة العزيز وليس يوسف عليه السلام.

ولو افترضنا أنّ يوسف عليه السلام هو القائل ؛ لكـــان ذلك من باب الهضم للنفس وعدم التزكية لها لأنّ الله يقول : ﴿ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴾ [1].

(١) من الآية ٣٠/يوسف.

أما استدلال أعداء الإسلام بما ذكره الطبري في تفسيره[٢] من أنّ يوسف لما قال: (ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب) ، قال له جبريل : ولا حين هممت بفك سراويلك ؟ فعند ذلك قال يوسف : (وما أبرئ نفسي إنّ النفس لأمارة بالسوء).

"فهذا الكلام من المرويات المكذوبة والإسرائيليات الباطلة التي خرجها بعض المفسرين الذين كان منهجهم ذكر المرويات وجمع أكبر قدر منها، سواء منها ما صح وما لم يصح، والإخباريون الذين لا تحقيق عندهم للمرويات، وليس أدل على ذلك من أنها لم يخرجها أحد من أهل الكتاب الصحيحة، ولا أصحاب الكتب المعتمدة الذين يرجع إليهم في مثل هذا[٣].

(١) من الآية ٣٢/النجم.

(٢) تفسير الطبري ١٦/ ١٤٥.

(٣) الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير صـــ: ٢٢٦.

المبحث السادس : في دلالة لفظة : (الزنا) :

==========

وردت كلمة ((الزنا)) في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴾ (١). وهي من الكلمات التي اعترض عليها المشككون في القرآن وقالوا: أنّى لمثل هذه الكلمة أن ترد في كتابكم، فهي كلمة خادشة لثوب الحياء؟ .

وهؤلاء لم يفهموا الدلالة اللغوية للكلمة، وما ذلك إلا لجهلهم باللغة العربية واشتقاق ألفاظها ، إذ أنّ كلمة ((زنا)) من الناحية الاشتقاقية قد تبين أنّها مأخوذة من ((الزناء)) وأصل الزناء : الضيق ، وزنا الموضع يزنو : ضاق لغة في يزنأُ (٢).

وبالرجوع إلى الدلالة الأصلية للفظ ((الزنا)) تبين أنها تطلق على معنيين :

الأول: الضيق ، ومنه قيل للحاقن ((زناء)) ، لأنّه يضيق ببوله ، ومنه أيضًا يقال : زنأ في الجبل يزنأ إذا صعد لأنّه يضيق بذلك نفسه ، وفي الحديث : ((أنه كَانَ لَا يُحِبُّ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا أَزْنَأَها))(٣).

الثاني: الزنا بمعنى : وطء المرأة من غير عقد زواج .

وبالربط بين المعنيين من الناحية الدلالية تبين أنّ كلمة (زنا) تحمل ملمحًا دلاليًا مميزًا وهو ((**الضيق**)) ، وكأن الزاني والزانية يصبان بالضيق النفسي من أثر ارتكاب هذه الفعلة وهنا يتجلى قول الله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ

---

(١) من الآية ٣٢/الإسراء

(٢) لسان العرب(زن ا) ١/ ٩١.

(٣) لسان العرب (زن ا) ١/ ٩١- ٩٢.

لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾[1] أي : "ضيّقا " [2].

وهذا الملحظ الدلالى للفظة ((الزنا)) – بدلالته على الضيق – يؤكده علم الطب من أنّ الزنا يؤدى إلى أضرار صحية خطيرة تجعل الإنسان يعيش حالة من الضيق والقلق، إذ تهدد البشرية بالأمراض الخبيثة ، التي يصعب علاجها . من تلك:

- **السيلان** : وهو من الأمراض التي حار في علاجها الأطباء ، وهو ترك المصاب في حالة من الألم .. وسببه ميكروب اسمه ((جونوكوك)) .. وهو ميكروب كلوى الشكل ، يتراص في أزواج .. وينتقل ذلك الوباء بالاتصال الجنسي ، أو استعمال الأدوات الخاصة بالمصاب به ، وينتقل المرض عادة من الأنثى المصابة إلى الذكر أثناء المعاشرة ، وتظهر أعراض المرض بعد الجريمة بيومين أو ثلاثة ، إذ يخرج صديد مؤلم من العضو المصاب ، مؤلم جداً خاصة عند التبول ، حتى لا يكاد المريض يغشى عليه من شدة الألم ، هذا فضلاً عن المضاعفات العامة من التهابات المفاصل ، والتهاب قزحية العين.

أما بالنسبة للإناث فمرض السيلان يؤدى إلى التهاب غدة بارثولين ، والتهابات عنق الرحم ، وقنوات فالوب ، فضلاً عن الآلام الشديدة بالظهر وبالمفاصل والإفرازات المهبلية التى تسبب لهن ضيقًا .. غير الإصابة بالعقم في كثير من الأحيان.

- **السفلس أو الزهرى** : وهذا المرض تتجلى فيه عقوبة الله تعالى ، فالمريض بعد أيام أو أسابيع من جريمته ، يصاب ببثرة غير مؤلمة مكان

---

(١) من الآية ١٢٤/طه.

(٢) المفردات في غريب القرآن(ض ن ك) صـــ: ٥١٢.

الجريمة ، وتزول هذه البثرة بعد أيام قلائل لتحل الجرثومة في الدم ، وبعد سنة أو سنتين تخرج عليه بقع حمراء نحاسية تنتشر في بعض أنحاء جسمه .. ويغفل المريض عن مراجعة الطبيب ليستمر المرض وتستمر الجرثومة فى دم المريض تعيش فيه وتظهر في قلبه أو في كبده وأحشائه.. الغريب أن تلك الجرثومة تلحقه إلى عقبه ، فالجنين يموت قبل أن يولد، حتى إذا ولد عاش قليلاً ثم يموت ، وإن عاش فيظل مريضًا(١).

هذا ، ويسبب الزنا غير ذلك ما يسمى بالقرحة الرخوة أو اللينة ، وهى مؤلمة جدًا يكثر ظهورها فى جسم القضيب أو الصفن أو العانة.. أما في الإناث فيكثر وجودها في الشفرتين وقرب فتحة الشرج والفخذين ، وهى قابلة للتعدد. ما يسمى بالقرحة الآكلة ، وتتميز بشدة تأثيرها، وإتلافها المستمر للأنسجة التى حولها مع عدم رضوخها للعلاج (٢).

يستنتج مما سبق :

أنّ كلمة ((زنا)) في أصل وضعها تدل على الضيق عامة ، ثم خُصِّص معناها وأصبحت مصطلحًا دينيًا يصف العلاقة الجنسية المحرمة بين الرجل والمرأة (أي التي خارج نطاق الزواج الشرعي) وذلك لما في الزنا من الضيق النفسى الناتج عن الأمراض العضوية ، لذلك يعتبر الزنا من الكبائر ومن أعظم الخطايا التى نهى الله عنها .

---

(١) الفاحشة والأمراض : د. وجيه زين العابدين (بحث منشور بمجلة الوعى الإسلامى عدد أغسطس سنة ١٩٧٦) نقلاً عن الإعجاز العلمى في الإسلام صـــ ٢٧٤.

(٢) الجانب العلمى في القرآن : د. صلاح الدين خطاب نقلاً عن الإعجاز العلمى في الإسلام صـــ ٢٧٤.

وقد وردت كلمة ((زنا)) في القرآن الكريم تسع مرات في سياقات كلها تدل على تحريم هذه العلاقة المحرمة ، منها قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴾ (١)، ولا يخفى على كل منصف أنّ السياق هو الذي يحكم على الكلمة من حيث قبحها وحسنها.

والحق أنّ هؤلاء المشككين الذين اعترضوا على ورود كلمة (زنا) يناقضون أنفسهم ، ويضربون صفحًا عما ورد عندهم في كتابهم المقدس – في زعمهم –، فقد وردت عندهم هذه الكلمة نفسها في سياق يثير الغرائز مما يتنافى مع الأدب العام والخلق النبيل ، ففي الإصحاح الثالث والعشرين من سفر حزقيال : ((وكانَ إلى كلام الرب قائلًا : يا ابنَ آدمَ كانَ امرأتانِ ابنتا أُمٍّ واحد ، وزنتا بمصر . في صباهما زنتا . هناك دُغدغَت ثُديُّهما، وهناك تَزَغْزَغَتْ ترائبُ عُذْرتهما . واسمُهما: أُهُولَةُ الكَبيرَةُ ، وأُهُولِيبَةُ أُختُها . وكَانَتَا لي، وولدتا بنين وبنات. واسماهما: السامرة ((أُهُولَةُ)) ، وأُرشليم ((أُهُولِيبَةُ)). وزَنَتْ أُهُولَةُ من تَحْتي وَعَشقَتْ مُحبِّيهَا ، أَشُّورَ الأَبْطَالَ .. كُلُّهُم شُبَّانُ شَهْوَة ، فُرْسَانٌ رَاكبُونَ الخيلَ...وتَنَجَّسَتْ بكُلِّ مَنْ عَشقَتْهُم بكلِّ أَصْنَامهِمْ..ولم تَتْرُكْ زِنَاهَا منْ مصْرَ أَيضًا ، لأَنَّهم ضَاجَعُوهَا في صبَاهَا وزَغْزَغُوا تَرَائب عذْرَتهَا وسَكَبُوا عليها زِنَاهُمْ ..هُمْ كَشَفُوا عَوْرَتَهَا ..فلمَّا رَأَتْ أُختُهَا أُهُولِيبَةُ ذلكَ أَفْسَدَتْ في عشْقهَا أَكْثَرَ منْهَا ، وفي زِنَاهَا أَكْثَرَ منْ زِنَا أُختها . عَشقَتْ بني أَشُورَ ..كُلُّهُمْ شُبَّان شَهْوة .. وزَادَتْ زِنَاهَا . ولَمَّا نَظَرَتْ إلى رِجَال مُصَوَّرين عَلَى الحَائط .. عَشقَتْهُمْ عنْدَ لَمح عَيْنَيها إيَّاهُم ..فَأَتَاهَا بَنُو بَابِل في مَضْجَع الحبِّ ونَجَّسُوهَا بزِنَاهُم ، فَتَنَجَّسَتْ بهم وجَفَتْهُمْ نَفْسُهَا . وكَشَفَتْ زِنَاهَا وكَشَفَتْ عَوْرَتَهَا ، فَجَفَتْهَا نَفْسِي كَمَا جَفَتْ

(١) من الآية ٣٢/الإسراء

نَفْسِي أُخْتَهَا. وأَكْثَرَتْ زِنَاهَا بِذِكْرِهَا أَيَّامَ صِبَاهَا الَّتِي فِيهَا زَنَتْ بِأَرْضِ مِصْرَ...))[1].

وهنا نجد صرخة الحياء مدوية مما في هذا السياق من دلالة على الفضائح الفظيعة التي يندى لها الجبين وتدمع لها العينان حيث وردت الكلمة في سياق يدغدغ المشاعر ويثير الغرائز مما يتنافى مع الأدب العام والخلق النبيل .

(١) سفر حزقيال الأصحاح ٢٣/١-٢٠.

المبحث السابع : في دلالة لفظة : (البغاء) :

==========

وردت كلمة ((البغاء)) في قوله تعالى :﴿ وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا۟ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (١).

وقد ذكر ابن فارس أصلين لدلالة كلمة ((بغاء)) إذ قال : " الْبَاءُ وَالْغَيْنُ وَالْيَاءُ أَصْلَانِ: أَحَدُهُمَا طَلَبُ الشَّيْءِ، وَالثَّانِي جِنْسٌ مِنَ الْفَسَادِ. فَمِنَ الْأَوَّلِ بَغَيْتُ الشَّيْءَ أَبْغِيهِ: إِذَا طَلَبْتَهُ...وَالْأَصْلُ الثَّانِي: قَوْلُهُمْ بَغَى الْجُرْحُ: إِذَا تَرَامَى إِلَى فَسَادٍ، ثُمَّ يُشْتَقُّ مِنْ هَذَا مَا بَعْدَهُ. فَالْبَغِيُّ الْفَاجِرَةُ، تَقُولُ بَغَتْ تَبْغِي بِغَاءً، وَهِيَ بَغِيٌّ. وَمِنْهُ أَنْ يَبْغِيَ الْإِنْسَانُ عَلَى آخَرَ. وَمِنْهُ بَغْيُ الْمَطَرِ، وَهُوَ شِدَّتُهُ وَمُعْظَمُهُ. وَإِذَا كَانَ ذَا بَغْيٍ فَلَا بُدَّ أَنْ يَقَعَ مِنْهُ فَسَادٌ"(٢).

إذن يقال: بَغَتِ المرأة بِغَاءً : إذا فجرت ، وذلك لتجاوزها إلى ما ليس لها. ويقال: باغت الجارية إذا تعاطت الزنا بالأجر حرفة لها، فالبغاء الزنا بأجره.

ويتميز لفظ ((البغاء)) في دلالته على الزنى بملامح عدة هي :

---

(١) من الآية ٣٣/النور.

(٢) مقاييس اللغة (ب غ ى) ١/ ٢٧١-٢٧٢.

- تجاوز الحد في الزنا لدرجة المجاهرة ، إذ اللفظ مأخوذ من"بغت المرأة تباغي ، إذا فجرت "[1]. ويتمثل هذا الفجور في زناها المعلن ، أي البغي ، أو المجاهرة المشتهرة في الزنا[2].
- البغاء : ممارسةُ المرأة الزنا لقاءَ أجر ، لحاجة. فإن خلا من الأجر والحاجة فهو الزنا .
- البغاء مختص بزنى النساء فلا يقال للرجل إذا زنى: إنه بغى [3].

وقد طعن أعداء الإسلام[4] في سياق هذه الآية بعدة شبهات :

الشبهة الأولى : قالوا : إنّ لفظ ((البغاء)) لفظ قبيح ، فكيف يرد في القرآن ؟

الشبهة الثانية : قالوا إنّ سياق الآية يدعو إلى البغاء لمن لم تردن التحصن ، فالنهي جاء مقيدًا بالشرط ﴿ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا ﴾ ، فبدلالة منطوق المخالفة (ومن لم تردن التحصن فلها أن تبغي) .

الشبهة الثالثة: قالوا بأنّ دلالة الفاصلة القرآنية ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعۡدِ إِكۡرَٰهِهِنَّ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ غير مناسبة لسياق الآية ، وكان الأَوْلَى أنْ يقول : (فإن الله شديد العقاب) بإسلوب العقاب والتهديد.

الرد على الشبهة الأولى:

أما عن وجود لفظة ((البغاء)) في القرآن – وهي لفظة قبيحة بفهمهم السقيم – فإنّ أصل تركيب (بغى) من الناحية الدلالية ، يدل على مجاوزة الحد ، ومجاوزة

---

(١) لسان العرب (ب غ ي) ١٤/ ٧٧.

(٢) البحر المحيط في التفسير ٧/ ٢٤٩.

(٣) روائع البيان تفسير آيات الأحكام ٢/ ١٧٨، و نيل المرام من تفسير آيات الأحكام صـــ: ٤٠٤.

(٤) ومن هؤلاء القسيس عبدالله الفادي في كتابه ((لا عصمة للقرآن)).

الحد منه ما هو محمود ، كتجاوز العدل إلى الإحسان. ومن البغي المحمود قوله تعالى : ﴿ وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴾(١). وقوله سبحانه : ﴿ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ۞ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾(٢).

ومنه ما هو مذموم،وهو تجاوز الحق إلى الباطل، ومنه البغاء بمعنى ((الزنا))(٣).

وكلمة ((البغاء)) وردت في القرآن في سياق النهي عن تلك الجريمة ، إذ" يعتبر الزنى في نظر الإسلام جريمة من أشنع الجرائم ، ومنكرًا من أخبث المنكرات ، ولذلك كانت عقوبته شديدة صارمة ، لأن في هذه الجريمة هدرًا للكرامة الإنسانية، وتصديعًا لبنيان المجتمع ، وفيه أيضًا تعريض النسل للخطر، حيث يكثر (اللقطاء) وأولاد البغاء،ولا يكون هناك من يتعهدهم ويربيهم وينشِّئهم النشأة الصالحة!!"(٤).

والكلمة إن كانت قبيحة في فهم هؤلاء ، فلعلهم لم يكلفوا أنفسهم بالنظر في كتبهم ، فقد وردت الكلمة عندهم – في كتابهم المقدس – في سياق يدل على البغاء والزنا ، فقد ورد في سفر التكوين الإصحاح الثامن والثلاثين ما يفيد بأنه قد كان ليهوذا ثلاثة أولاد : عير و أونان وشيلة . وكان عير متزوجًا من ثامار. ثم إن الله قد توفى ابن يهوذا البكر ، زوج ثامار . فطلبت الأرملة من يهوذا أن يزوجها من أونان ، ابنه الأوسط ، لكي يقيم منها نسلاً يحفظ ذكر أخيه المتوفي حسب الأعراف اليهودية التي كانت متبعة . ولقد فعل يهوذا . لكن أونان صار يستمنى

---

(١) الآية ٢٨/الإسراء.

(٢) الآية ١٩- ٢٠/الليل.

(٣) ينظر: المفردات في غريب القرآن صـــ: ١٣٦.

(٤) روائع البيان تفسير آيات الأحكام ٢/ ٥٢.

على الأرض ؛ لكي لا يقيم لأخيه نسلاً . فأماته الربُّ جزاء ما فعل. وعندما طالبت ثامار بحقها في أن تتزوج من شيلة ، فأجابها بالاعتذار خوفًا على شيلة ابنه الأصغر من أن يموت كما مات أخوه. وطلب منها أن تقر في بيت أبيها حتى يكبر شيلة . غير إن هذا الانتظار قد طال أمده . وفي أحد الأيام علمت ثامار أن يهوذا سيذهب إلى جزِّ غنمه ، ((فخلعت ثياب إرمالها من عليها وتغطت بالخمار واحتجبت به وجلست في مدخل العينين على طريق تمنة ، لأنها رأت أن شيلة قد كبر و لم تزوج به . فرآها يهوذا فحسبها باغيا، لأنها كانت مغطية وجهها . فمال إليها إلى الطريق وقال : هلم أدخل عليك ، لأنه لم يعلم أنها كنته . فقالت له : ماذا تعطيني حتى تدخل علي ؟ قال : أبعث بجدي معز من الماشية . قالت : أعطني رهنًا إلى أن تبعث. قال ما الرهن الذي أعطيكه؟ قالت : خاتمك وعقالك وعصاك التي بيدك . فأعطاها ودخل عليها ، فحبلت منه . ثم قانت فمضت ونزعت خمارها من عليها ولبست ثياب إرمالها . وبعث يهوذا بجدي ماعز مع صاحبه العدلامي ليسترد الرهن من يد المرأة ، فلم يجدها. فسأل أهل المكان عن مقامها قائلاً : أين البغي التي كانت عند العينين على الطريق؟ قالوا: ما كانت هاهنا قط بغي))[1].

وبعد أشهر تبين حمل ثامار فجاء من يقول ليهوذا : ((قد بغت ثامار كنتك ، وها هي حامل من البغاء. فقال يهوذا : أخرجوها فتحرق . فبينما هي مخرجة بعثت إلى حميها قائلة: من الرجل الذي هذه الأشياء له أنا حامل. وقالت: أنظر لمن هذا الخاتم والعقال والعصا. فنظر إليها يهوذا وقال: هي أبر مني ، لأني لم أزوجها لشيلة ابني))[2].

---

(١) سفر التكوين ٣٨/١٤-٢١.

(٢)نفسه ٣٨/٢٤-٢٦.

ولعلَّ ممارسات البغايا من بقايا تلك الممارسات التي كانت لها علاقة على ما يبدو بظاهرة البغاء المقدس في المعابد القديمة من بينها الكعبة. وكان البغاءُ موجودًا عند معظم الشعوب القديمة والمتحضرة ، حتى إنّ بعض الدول كانت تنظم شؤون البغايا، وتضع لهن التشريعات . وكان البغاء منشرًا بين اليهود منذ عهود قديمة ، كما يوحي به هذ النص : ((لا تدنسْ ابتك بتعريضها للزنى))[1].

هذا وقد عُرِف العربُ في جاهليتهم إلى جانب الزواج الشرعي الذي كانوا يسمونه زواج البعولة ؛ أنواعًا من الأنكحة الباطلة أو الزنا ، منها البغاء ، ففي الحديث الذي أخرجه البخاري عن عائشة – رضي الله عنها – عن أنواع النكاح في الجاهلية أنها قالت : ((إِنّ النِّكَاحَ فِى الْجَاهِلِيَّةِ كَانَ عَلَى أَرْبَعَة أَنْحَاء... وَالنِكَاحُ الرَّابِعِ، يَجْتَمِعُ النَّاسُ الْكَثِيرُ، فَيَدْخُلُونَ عَلَى الْمَرْأَة لا تَمْتَنِعُ مِمَّنْ جَاءَهَا، وَهُنَّ الْبَغَايَا، كُنَّ يَنْصِبْنَ عَلَى أَبْوَابِهِنَّ رَايَاتٍ تَكُونُ عَلَمًا، فَمَنْ أَرَادَهُنَّ دَخَلَ عَلَيْهِنَّ..))[2].

وظلَّ البغاءُ عند مشركي العرب حتى بعد ظهور الإسلام ، كان لعبدالله بن أبي بن سلول (زعيم المنافقين) إماءٌ ، كان يكرههنَّ على البغاء ؛ طلبًا لخراجهن ، فأنزل الله تعالى هذه الآية .

الرد على الشبهة الثانية:

قالوا : إنّ سياق الآية يدعو إلى البغاء لمن لم تردن التحصن بدلالة منطوق المخالفة (ومن لم تردن التحصن فلها أن تبغي) .

أولاً: أنّ السياق الخارجي للآية – سبب النزول أو ما يسمى سياق الحال – يدل على أنّ الآية نزلت فيمن تردن التحصن ، فعن جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ: "كَانَتْ

(١) سفر اللاويين ١٩/٢٩.

(٢) شرح صحيح البخارى لابن بطال ٧/ ٢٣٩-٢٤٠.

جَارِيَةٌ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ أُبَيٍّ يُقَالُ لَهَا مُسَيْكَةُ فَأَكْرَهَهَا عَلَى الْبِغَاءِ، فَقَالَتْ لَهُ: لَئِنْ كَانَ هَذَا خَيْرًا لَقَدْ اسْتَكْثَرْتَ مِنْهُ وَرُوِيَ لَقَدْ اسْتَنْكَرْتَ مِنْهُ وَإِنْ كَانَ شَرًّا لَقَدْ بَانَ لِي أَنْ أَدَعَهُ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ الْآيَةَ"(١).

إذن فالشرطُ في قوله: (إن أردنَ تحصنًا) ليس قَيْداً للنَّهي ، لأَنَّ النهيَ عن زناهُنَّ عامّ، سواءٌ أَرَدْنَ تَحَصناً أَمْ لا، لكنَّ هذا الشرط لبيان الواقع- سياق الحال، لأَنَّ الآيةَ نَزَلَتْ في إماءٍ تَعفَّفْنَ وأَردْن التحصُّن.. فإذا كُنَّ هؤلاء الإماءُ يُردْنَ التحصُّنَ والتعففَ وهنَّ إماء، فكيفَ بغيرِهن من الحرائر، اللَّواتي يَنْفُرْنَ من الزنَى أساساً؟!.

فالآية خاصة في النزول عامة في الحكم. وهذا يعنى أن البغاء مع عدم الإكراه أيضًا حرام ؛ لأن القيد ليس للإخراج. ونحو ذلك قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَۚ ﴾ (٢) ، فقوله تعالى: (مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ) ليس معناه أن موالاة الكافرين مع المؤمنين جائزة، بل موالاة الكافرين على كل حال حرام.

وعلى ذلك فقوله : (إن أردن تحصنًا) قيد قصد به فائدة أخرى (بيانِ الواقع في إماءٍ تَعفَّفْنَ وأَردْن التحصُّن) ، غير إخراج ما سوى المنطوق؛ ولذا فهى ليست لها مفهوم مخالفة.

ثانيًا: أنّ وجود ((الإكراه)) – في سياق الآية – يدل على أنه لا يتأتى الإكراه ولا يتصوّر إلا عند إرادة التحصّن ، لأنّ الأَمة ، إذا لم ترد التحصّن ، فإنها تزني

(١) أحكام القرآن لابن العربي ٣/ ٤٠١.

(٢) من الآية ١٤٤/النساء.

بالطبع ، "فمعلوم أَنَّهُ لَا إِكْرَاهَ عَلَى الْفَاحِشَةِ لِمَنْ لَا يُرِيدُ تَحَصُّنًا "[1].فطالما أنّ هناك إكراهًا ، فلابد أن يكون هناك إرادة تحصن.

الرد على الشبهة الثالثة:

وهي القول بأنّ دلالة الفاصلة القرآنية ﴿ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ غير مناسبة لسياق الآية ، وكان الأَوْلَى أنْ يقول: (فإن الله شديد العقاب) بأسلوب العقاب والتهديد.

وهؤلاء أعماهم التعصب عن إبصار الحق المبين ؛ لإن الفاصلة القرآنية (غفور رحيم) وخَتْمُ الآيةِ بالترغيبِ بالمغفرةِ والرحمة ، لهو الأنسب لسياق الآية الكريمة ، ففي الآية (مجاز بالحذف) أي غفور لهن رحيم بهن. ومما يؤيد ذلك قوله تعالى: (من بعد إكراههن) أي لأنهن مكرهات لا إرادة لهن ولا اختيار ، فقد يَزْنينَ مُكْرَهاتٍ نافرات ، فَتَدْعوهُنَّ الآيةُ إلى التوبةِ والاستغفار، لهذا رفع الله عنهن العذاب وبقي الإثم على المكره . فالترغيب ليسَ للذي يُكْرِهُهُنَّ على البِغاء.

إذن فالرحمة مخصصة بالمكرَهات من الإماء ، وأما المُكْرِهُون فعليهم اللعنة والسخط ، " وقد كان الحسن البصري إذا قرأ هذه الآية يقول: لهنَّ والله ، أي إنّ الله غفور لهن ، لا لأولئك المجرمين الذين أكرهوا النساء على البغاء"[2].

ولو اعترض هؤلاء المشككون على مغفرة الله للإماء اللاتي أكرهن ، لقلنا لهم : إنّ المغفرة على مذهب الكتاب المقدس مكفولة لكل الذنوب إلا التجديف (الإهانة والشتم) في حق الروح القدس ، مما يدخل إجبار الإماء على الزنا من باب الذنوب المغفور ، والدليل على ذلك ما جاء في إنجيل مرقس ((الحق أقول لكم : إنّ جميع

---

(١) البرهان في علوم القرآن ٣/ ٤٠١.

(٢) روائع البيان تفسير آيات الأحكام ٢/ ١٨٣.

الخطايا تغفر لبني البشر والتَّجاديف التي يجدفونها..ولكن من جدّف على الروح القدس فليس له مغفرة إلى الأبد ، بل هو مستوجب دَيْنُونَةً أبديّة))[1].

❁ ❁ ❁ ❁ ❁ ❁

(١) إنجيل مرقس إصحاح ٣/٢٨-٢٩.

المبحث الثامن : في دلالة لفظة : (البهتان):

==========

وردت كلمة ((البهتان)) في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (١).

وقد اعترض أعداء الإسلام على تفسير لفظ البهتان بالزنا ، مستدلين بقول الراغب : البهتان "كناية عن الزنا"(٢)، قائلين : كيف يأتي لفظ ((البهتان)) ويراد به الزنا ، وقد تقدم عليه قوله : (ولا يزنين) ، والشيء لا يعطف على نفسه؟.

والحق أنّ هؤلاء قد غاب عنهم المعنى الدلالي الأصلي للفظة ((البهتان)) وربطه بالسياق الوارد فيه .

فالبهتان : اسم من البهت ، وهو مأخوذ من مادة (ب هـ ت) التي يدور معناها حول الدهش والحيرة ، وتتصل فروعها بهذا الأصل وتتقارب ، يقول ابن فارس : "الْبَاءُ وَالْهَاءُ وَالتَّاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ كَالدَّهَشِ وَالْحَيْرَةِ. يُقَالُ بُهِتَ الرَّجُلُ يُبْهَتُ بَهْتًا. وَالْبَهْتَةُ الْحَيْرَةُ. فَأَمَّا الْبُهْتَانُ فَالْكَذِبُ. يَقُولُ الْعَرَبُ: يَا لَلْبَهِيتَةِ، أَيْ يَا لَلْكَذِبِ"(٣).

وللربط الدلالي بين الدهش والحيرة والكذب ؛ أنّ البهتان : كذب يُحير سامعه

---

(١) الآية ١٢/الممتحنة

(٢) المفردات في غريب القرآن صـــ: ١٤٨.

(٣) مقاييس اللغة (ب هـــ ت) ١/ ٣٠٧.

لفظاعته وكذلك "الافتراء الباطل الذي يُتَحَير من بطلانه لزيادة الفُحش فيه"[1]، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا ﴾ [2].

فيلاحظ أنّ اللفظ قد انتقل – بطريق الكناية – من دلالته على الحيرة والكذب وأصبح يدل في سياق الأية – محل البحث – على ما كان يحدث في الجاهلية من أنّ المرأة إذا زنت تسبت لزوجها ولدًا ليس منه كذبًا.

إذن فالبهتان في سياق الأية ليس المقصود به الزنا – كما تصور هؤلاء – ، لكنه كناية عما نتج من الزنا وهو الولد ، وليس كناية عن الزنا نفسه ؛ لأنّ المرأة الزانية من الممكن أن تزني و لم تنجب من الزنى فاحتاط القرآن فذكر الزنا والبهتان معًا.

ومما يدل على أنّ المراد بالبهتان أنه نتاج الزنا (الولد الكذب) وليس الزنا نفسه، دلالة معطيات السياق من مفردات تدل على ذلك .

فقد جاء في السياق كلمة (بين – أيديهن – أرجلهن) ، وهذه الكلمات تتعلق بـــ((يأتين)) ، كما أنّ البهتان مصدر ، ومن الممكن أن يطلق المصدر ويراد به اسم المفعول فيقال : ((مبهوت))بمعنى : ((مكذوب)) ، مثل : ((خلق بمعنى مخلوق)) ، فكأنّ الله سبحانه وتعالى يريد أن يقول : (ولا يأتين بمكذوب يفترينه بين أيديهن وأرجلهن) ، وحقيقة (بين الأيدي والأرجل) : أن يكون الكذب حاصلاً في مكان يتوسط الأيدي والأرجل ، ولا يكون ذلك إلا لنتاج الزنى (الحمل، أو الوضع) .

---

(١) المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن(ب هـــ ت) ١٨٧/١.

(٢) الآية ١٥٦/النساء.

فيكون القرآن قد " كنّى بالبهتان المفترى بين يديها ورجليها عن الولد الذي تلصقه بزوجها كذبًا ؛ لأنّ بطنها الذي تحمله فيه ، بين اليدين، وفرجها الذي تلد منه ، بين الرِجلْين"(١)، وقد كان ذلك من شعار الجاهلية المنافي لشعار المسلمات .

الأسرار الدلالية في اختيار لفظة ((البهتان)) لسياق الأية الكريمة:

١- إنّ فى تصوير المولود من غير أبيه بالبهتان الذي يدل في أصل وضعه على الحيرة والدهشة ، دلالة على حيرة الزوج ودهشته عند سماعه لهذا الافتراء الباطل الذي يُتَحَير منه لبطلانه وزيادة الفُحش فيه.

٢- في دلالة كلمة ((البهتان)) على الحيرة والدهشة "تنفير من هذا المولود، وإثارة لمشاعر الخوف منه، والكراهية له .

٣- إنّ دلالة لفظة ((البهتان)) على الكذب والحيرة ووضع الجنين المسمى بذلك بين يدى المرأة ورجليها- إزعاج لها، وإقلاق لمشاعرها أن تسكن إلى هذه الجريمة البشعة التي تعيش معها، كما يعيش القتيل بين يدى قاتله..

٤- إنّ كون هذا البهتان بين يدى المرأة ورجليها، يعيش في بطنها تسعة أشهر ملتصقًا هاتفًا بها فى كل لحظة ، يجعلها تحتار وتندهش فلا يرقد لها جفن ولا يهدأ لها بال.

٥- إذا علمت المرأة أنّ ما في بطنها بهتان- لا يدع لها لحظة من الاستقرار والسكون، فى يقظة أو منام، الأمر الذي يدعوها إلى التفكير الطويل قبل أن تضـــم فى كيانها هذا البهتان ! وأن تنسبه كذبًا وافتراء إلى فـــراش الزوجية(٢).

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ٧/ ٣٠.

(٢) بتصرف : التفسير القرآني للقرآن ١٤/ ٩١٠.

الخاتمة

وبعد ، فهذه رحلة امتزجت فيها حلاوة العلم بنور القرآن في الوقوف على سرِّ الإعجاز القرآني في مجال الدلالة اللغوية بين رقي القرآن وشبهات المستشرقين حول ألفاظ العلاقات الجنسية المحرمة .

ولاشك أنّ الباحث في علم كعلم إعجاز القرآن يكون أكثر العباد إيمانًا بقدرة الله وأول الخاشعين لجلاله العظيم ، والسرُّ في ذلك ، أنّ إعجاز القرآن الكريم المتمثل في ألفاظه وأساليبه ومعانيه يأسر العقول ويدفعها إلى التفكير فيه ، والتماس وجوه إعجازه .

هذا وقد وصل الباحث إلى الكثير من النتائج موزعة في صفحات الأطروحة، ومن أهم هذه النتائج ما يأتي:-

١- إبرز البحث أوجه الإعجاز القرآني في التناسب الدلالي لألفاظ العلاقات الجنسية المحرمة وردِّ شُبه المشككين حولها.

٢- اعتنى البحث بالسياق ، وهو النظم اللفظي للكلمة وموقعها من ذلك النظم ، الذى يشمل الكلمات والجمل الحقيقية السابقة واللاحقة للكلمة ، والنص الذى ترد فيه ، فكل كلمة أيًّا كانت توقظ فى الذهن صورة ما ، حسنة أو قبيحة ، بهيجة أوحزينة ، راضية أوكريهة ، فهو يميز بين المعنى الموضوعى والمعنى العاطفى للكلمة . فضلاً عن الدور الأساسى الذى يؤديه السياق فى اختيار بعض البدائل (الصيغ) التى تعطي ملامح دلالية في السياق الواردة فيها.

٣- وقف البحث على كثير من أسرار الإعجاز اللغوي المتمثلة في اللفظة القرآنية ومعرفة الفروق اللغوية بينها وبين غيرها كالفرق بين الفاحشة والفحشاء ، والسفاح والبغاء ، والزنا والبهتان ، والواقع الذي تشير

إليه هذه الكلمات، ولا يمكن الوقوف على هذه الأسرار إلا عن طريق العلم ودراسة الدلالة اللغوية للفظة القرآنية ، وأهم هذه الملامح الدلالية لهذه الألفاظ هي :

– كلمة ((الفاحشة)) تركز على ملح القبح الشديد في عملية الزنا واللواط ومجاوزة الحد فيهما. أما كلمة ((الفحشاء)) فأينما وردت ، فهي الفحشاء النظرية التي يفكر فيها الإنسان من حيث التصور والكـــون، لم يلابسها أو يقـــع فيها، فإذا وقـــع فيها تسمى ((فاحشة)) ، فكأن الفترة الزمنية – مقدار نطق المد – في كلمة ((فحشاء)) تعطي للإنسان فرصة للتفكير في عدم فعل الفاحشة والوقوع فيها .

– كلمة ((أخدان)) تتميز بالدلالة على الممارسة الجنسية التي تحدث في السرِّ مع عشيقٍ واحد فقط . أما كلمة ((مسافحات)) فتعني : الممارسة الجنسية مع أكثر من شخص .

– تركيب ((ظاهر الإثم)) يتميز بملمح الإعـــلان والجهر بعملية الزنا. أما ((باطن الإثم)) فيتميز بملمح الإسرار والخفاء بهذه العملية .

– تتميز كلمة ((الهمِّ)) بملمح دلالي هو: مقاربة الشيء من غير دخول فيه ؛ لأنه مجرد خاطر يعترض القلب ثم يذوب ويتحرك ، أو مجرد خطور الشيء في البال ، وإن لم يقع العزم عليه.

– تتميز كلمة ((السوء)) في دلالته على الزنا ، بملمح الكره ؛ فالزنا شيء مكروه تكرهه الطبيعة .

–كلمة ((زنا)) تحمل ملمحًا دلاليًا مميزًا وهو ((الضيق)) ، وكأن الزاني والزانية يصبان بالضيق النفسي من أثر ارتكاب هذه الفعلة.

– يتميز لفظ ((البغاء)) في دلالته على الزنا بملامح هي : أنّ البغاء : تجاوز الحد في الزنا لدرجة المجاهرة ، كما أنه ممارسةُ المرأة الزنا لقاءَ أجر، فإن خلا من الأجر والحاجة فهو الزنا ، كما يختص بزنا النساء فلا يقال للرجل إذا زنا : إنه بغى.

– يتميز لفظ ((البهتان)) بكونه كناية عما نتج من الزنا وهو الولد ، وليس كناية عن الزنا نفسه .

٤– أثبت البحث أنّ السياق هو الموجه الأساسي في اختيار اللفظة القرآنية ومناسبتها للسياق الذي وردت فيه ، ولذا فإنّ العدول الدلالي من لفظ إلى آخر لا يكون بغير قصدٍ ، وإنّما ينتخب اللفظ انتخابًا ليكون متسقًا مع السياق ومؤتلفًا مع النظم بما يسوّغه المعنى .

وبعد

فعسى أن يكون في النصوص التي جمعتها وذكرت مصادرها ، وشرحتها وحللتها ، ما يُفيد الباحثين ، وما يكشف عن موضوع جديد غير مطروق ، فألفاظ الإعجاز القرآني عامة ، وألفاظ العلاقات الجنسية خاصة أوسع من أن تحيط بها دراسة عابرة .

ولا أدعي أني بهذا البحث قد بلغت درجة الكمال ، فالكمال لله وحده . فإن وفقت فبتوفيق من عند الله سبحانه ، وإن جانبني التوفيق فحسبي أني قد بذلت جهدًا ، ولا يسعني إلا أن أدعو العلي القدير بقوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾ (١).

والحمد لله أولاً وآخرًا وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

---

(١) من الآية ٢٨٦/البقرة.

ثبت المصادر والمراجع

📖 القرآن الكريم.

الكتب العلمية

١- أحكام القرآن لابن العربي ، المؤلف: القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي (المتوفى: ٥٤٣هـ) ، راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلَّق عليه: محمد عبد القادر عطا ، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.

٢- أساس البلاغة،المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)،تحقيق: محمد باسل عيون السود ، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.

٣- الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، المؤلف: محمد بن محمد بن سويلم أبو شُهبة (المتوفى: ١٤٠٣هـ) ، الناشر: مكتبة السنة ، الطبعة: الرابعة.

٤- الإعجاز العلمي في الإسلام ، المؤلف : محمد كامل عبد الصمد ، الدار المصرية اللبنانية.

٥- إعراب القرآن للأصبهاني ، المؤلف: إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي القرشي الطليحي التيمي الأصبهاني، أبو القاسم، الملقب بقوام السنة (المتوفى: ٥٣٥هـ) ، قدمت له ووثقت نصوصه: الدكتورة فائزة بنت عمر المؤيد ، الناشر: غير معروف (فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية - الرياض) ، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.

٦- إنجيل مرقس إصحاح .

٧- البحر المحيط في التفسير ، المؤلف: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ) ، المحقق: صدقي محمد جميل ، الناشر: دار الفكر – بيروت ، الطبعة: ١٤٢٠ هـ.

٨- البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ، المؤلف: أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي (المتوفى: ١٢٢٤هـ) ، المحقق: أحمد عبد الله القرشي رسلان ، الناشر: الدكتور حسن عباس زكي – القاهرة ، الطبعة: ١٤١٩ هـ.

٩- البرهان في علوم القرآن المؤلف: أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى: ٧٩٤هـ) ، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم ، الطبعة: الأولى، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م ، الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه.

١٠- التحرير والتنوير ، المؤلف : محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : ١٣٩٣هـ) ، الناشر : الدار التونسية للنشر – تونس ، سنة النشر: ١٩٨٤ هـ.

١١- تفسير البغوي ، المؤلف : محيي السنة ، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى : ٥١٠هـ)، المحقق : عبد الرزاق المهدي ، الناشر : دار إحياء التراث العربي –بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٠ هـ.

١٢- تفسير البيضاوي ، المؤلف: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: ٦٨٥هـ) ، المحقق: محمد عبد

الرحمن المرعشلي ، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت ، الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ.

١٣- تفسير الثعلبي ، المؤلف: أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (المتوفى: ٤٢٧هـ) ، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور ، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي ، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان ، الطبعة: الأولى ١٤٢٢، هـ - ٢٠٠٢ م.

١٤- تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل ، المؤلف: علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن (المتوفى: ٧٤١هـ) ، تصحيح: محمد علي شاهين ، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ.

١٥- تفسير الشعراوي ، المؤلف: محمد متولي الشعراوي (المتوفى: ١٤١٨هـ) ، الناشر: مطابع أخبار اليوم.

١٦- تفسير الطبري ، المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة،الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ-٢٠٠٠ م.

١٧- التفسير القرآني للقرآن ، المؤلف: عبد الكريم يونس الخطيب (المتوفى: بعد ١٣٩٠هـ)، الناشر: دار الفكر العربي – القاهرة.

١٨- تفسير الماوردي ، المؤلف: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ) ، المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم ، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان.

١٩- التفسير المنير للزحيلي ، المؤلف : د وهبة بن مصطفى الزحيلي ، الناشر : دار الفكر المعاصر – دمشق الطبعة : الثانية ، ١٤١٨ هـ.

٢٠- تفسير آيات الأحكام للسايس ، المؤلف: محمد علي السايس الأستاذ بالأزهر الشريف ، المحقق: ناجي سويدان ، الناشر: المكتبة العصرية للطباعة والنشر.

٢١- تهذيب اللغة ، المؤلف: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ) ، المحقق: محمد عوض مرعب ، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت ، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م.

٢٢- التوقيف على مهمات التعاريف، المؤلف: زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: ١٠٣١هـ) ، الناشر: عالم الكتب ٣٨ عبد الخالق ثروت-القاهرة ، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م .

٢٣- جماليات المفردة القرآنية ، المؤلف: أحمد ياسوف ، الناشر: دار المكتبى – دمشق ، الطبعة: الثانية، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩م.

٢٤- دلائل الإعجاز ، المؤلف: أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (المتوفى: ٤٧١هـ) ، المحقق: محمود محمد شاكر أبو فهر ، الناشر: مطبعة المدني بالقاهرة - دار المدني بجدة ، الطبعة: الثالثة ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

٢٥- روائع البيان تفسير آيات الأحكام ، المؤلف: محمد علي الصابوني ، طبع على نفقة: حسن عباس الشربتلي ، الناشر: مكتبة الغزالي - دمشق، مؤسسة مناهل العرفان – بيروت ، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م.

٢٦- زهرة التفاسير ، المؤلف: محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (المتوفى: ١٣٩٤هـ) ، دار النشر: دار الفكر العربي.

٢٧- السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، المؤلف: شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي (المتوفى: ٩٧٧هـ) ، الناشر: مطبعة بولاق (الأميرية) – القاهرة ، عام النشر: ١٢٨٥ هـ.

٢٨- سفر التكوين .

٢٩- سفر اللاوبيين .

٣٠- سفر حزقيال .

٣١- السنن الكبرى للبيهقي ، المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ) ، المحقق: محمد عبد القادر عطا ، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنات ، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.

٣٢- شرح صحيح البخارى لابن بطال ، المؤلف: ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (المتوفى: ٤٤٩هـ)، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم ، دار النشر: مكتبة الرشد - السعودية، الرياض ، الطبعة: الثانية، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.

٣٣- صحيح مسلم،المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)،المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي ، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٣٤- الفروق اللغوية ، المؤلف: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو ٣٩٥هـ) ، حققه

وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم ، الناشر: دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر.

٣٥- فى ظلال القرآن ، المؤلف: سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (المتوفى: ١٣٨٥هـ) ، الناشر: دار الشروق - بيروت- القاهرة ، الطبعة: السابعة عشر - ١٤١٢ هـ.

٣٦- القاموس المحيط ، المؤلف: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: ٨١٧هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة ، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي ، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان ، الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.

٣٧- لسان العرب ، المؤلف: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ) ، الناشر: دار صادر – بيروت ، الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ.

٣٨- المشترك اللفظي في الحقل القرآني ، المؤلف : عبد العال سالم مكرم الناشر: موسسة الرسالة – بيروت الطبعة: الثانية، ١٤١٧.

٣٩- المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم ، المؤلف : أ.د. محمد حسن جبل ، مكتب الآداب ، الطبعة الثانية.

٤٠- معجم وتفسير لغوى لكلمات القرآن ، المؤلف: حسن عز الدين بن حسين بن عبد الفتاح أحمد الجمل الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر ، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٣ - ٢٠٠٨ م.

٤١- المفردات في غريب القرآن ، المؤلف: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى: ٥٠٢هـ) ، المحقق: صفوان

عدنان الداودي ، الناشر: دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت ، الطبعة: الأولى – ١٤١٢ هـ.

٤٢- مقاييس اللغة ، المؤلف: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون ، الناشر: دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٤٣- المُعْجَمُ الكَبِير للطبراني ، المؤلف: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)تحقيق: فريق من الباحثين بإشراف وعناية د/ سعد بن عبد الله الحميد و د/ خالد بن عبد الرحمن الجريسي.

٤٤- مقدمة حول الاستشراق والمسشرقين ، موقف المدرسة العقلية من السنة النبوية.

٤٥- المعجم الوسيط ، المؤلف: مجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار) الناشر: دار الدعوة.

٤٦- مسند أحمد مسند الإمام أحمد بن حنبل، المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)،المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرونإشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.

٤٧- المشترك اللفظي في الحقل القرآني صـ: ٢٣٣ ،تأليف : عبد العال سالم مكرم الناشر: موسسة الرسالة – بيروت الطبعة: الثانية، ١٤١٧.

٤٨- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير،المؤلف: أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (المتوفى: نحو ٧٧٠هـ) ،الناشر: المكتبة العلمية – بيروت.

٤٩- نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر،المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)،المحقق: محمد عبد الكريم كاظم الراضي،الناشر: مؤسسة الرسالة – لبنان/ بيروت،الطبعة: الأولى، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م

٥٠- النكت في القرآن الكريم ، المؤلف: علي بن فَضَّال بن علي بن غالب المُجَاشِعِي القيرواني، أبو الحسن (المتوفى: ٤٧٩هـ) ، دراسة وتحقيق: د. عبد الله عبد القادر الطويل ، دار النشر: دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م.

٥١- الوجوه والنظائر لأبي هلال العسكري ، المؤلف: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو ٣٩٥هـ) ، حققه وعلق عليه: محمد عثمان ، الناشر: مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م.